

24

روايات مصر به الجيب

الآن .. نرجوكم الصمت

سافاري

www.dvd4arab.com
Hany3H

مقدمة

(سافارى) مصطلح غربى تم تحريفه عن كلمة
(سافريّة) العربية .. وحين يتحدثون عن الـ (سافارى)
فهم يتحدثون عن رحلات صيد الوحوش فى أدغال
(إفريقيا) ..

لكن وحدة (سافارى) التى سنقابلها هنا كانت
تصطاد المرض فى القارة السوداء .. ووسط اضطرابات
سياسية لا تنتهى .. وبيئة معادية .. وأهل مشككين ..

بطلنا الذى سنقبله دوماً ، ونألفه ، ونتعلم أن
نحبه هو د. (علاء عبد العظيم) .. شاب مصرى
ككل الشباب .. اختار أن يبحث عن ذاته بعيداً وسط
أدغال (الكامبيرون) ، وفى بيئة غريبة وأمراض
أغرب وأخطر لا تنتهى فى كل دقيقة ..

وفى هذه الروايات نقرأ مذكرات د. (علاء) ..

نعيش معه ذلك العالم العجيب الذى لم تتجح الحضارة
فى تبديل معالمه ..

سنلقى الكثير من الفيروسات القاتلة .. والسحرة
المجائنين .. وأكلة لحوم البشر .. والمرتزقة الذين
لا يمزحون .. وسارقي الأعضاء البشرية .. والعلماء
المخابيل ..

سنلقى كل هذا .. ونلقى محاولات طبيينا الشاب
كى يظل حياً .. وكى يستطيع فى الوقت ذاته أن يظل
طبيباً ..

تعالوا نلحق بوحدة (سافارى) فى (الكامبيرون) ..
تعالوا ندخل الأدغال ونجوب (السافانا) ونتسلق
البراكين ..

تعالوا نواجه المرض مع فريق (سافارى) ..

1- (كينيا) كالمادة ..

ولماذا لا تمضى الحياة كما كانت ؟

ما زال وجهى فى مكانه بنفس السمات ، وما زالت
(برنات) زوجتى ، وما زالت وحدة (سافارى)
تستقبل الحالات التعسة ، وما زالت الملاريا شبيهة
بثعبان نائم طيلة الوقت .. أحيانا ينهض ويلدغ وتكون
لدغته قاتلة ، ثم يعود للنوم ..

ما زال (سينوريه) شاعرا حالما ، حتى وإن تم تعيينه
مديرا للوحدة .. وما زال (ستيجوود) فى السجن
والتحقيقات جارية .. ما زالت آثار الانفجارات هنا وهناك ،
وذكرى تلك الليلة السوداء التى قضيناها جميعا فى
مكتب المدير ..

ما زال كل شىء فى مكانه ..

فلماذا لا تمضى الحياة كما كانت ؟

★ ★ ★

دعنى أقل لك حقيقة هى أن مكائتى صارت
رفيعة إلى حد كبير فى (سافارى) .. صحيح أننى
مصدر متاعب أينما ذهبت .. يكفى أن أظهر فى
مكان ما ، حتى تبدأ المؤامرات والذسائس والموت
والشجار ، لكن هذا يعنى أننى أصبحت شخصاً
مرموقاً ..

هذا سبب لى بعض المتاعب .. لا أقدر أن أدعى
أنهم يحققون على .. لا .. لا أجرو على هذا ، لكنهم
بالتأكيد لم يعودوا يكونون لى ذات الود الذى عرفته
من قبل .. بعض الابتسامات مفتعلة أو لا وجود لها
على الإطلاق .. أضف لهذا أن عدداً لا بأس به منهم
كان من (حاشية) المدير المنصرم (ستيجوود) ،
وهم يروننى ذلك الفتى البغيض الذى جاء من
(الكامبيرون) ليدير رئيسهم المحبوب ..

وهكذا اتخذت قرارى الأمثل فى التعامل مع القوم
هنا : لا تتعامل مع القوم هنا .. هذا يبدو مريحاً إلى
حد ما ..

كذا تمضى الحياة بلا جديد ، والحقيقة أتنى بدأت
أتأهب للعودة إلى (الكامبيرون) حيث كل هؤلاء الأوغاد
الأعزاء .. حتى هذه اللحظة لا يوجد ما يوحى بوجود
خطر على من أى نوع .. صحيح أن هناك مجموعة
من عبدة الأفاعى المجائين يعتبروننى كافراً خائناً ،
وهذا حافظ بالطبع كى يقرر أحدهم التقرب إلى الأفاعى
بذبحى ، لكن مادام (بودرجا) حياً يرزق فمن الواضح
أن المدير فى (الكامبيرون) بالغ كثيراً فى رعبه ..

لكن خطتى لم تتوقف عند هذا .. طريق العودة إلى
الكامبيرون سيكون طويلاً نوعاً ، لأننى سأمر على
مصر أولاً .. لا بد من أن ترى أُمى زوجتى وتحبها ..
هذه نقطة مهمة .. لسوف تهيم بها حباً ، ولسوف
تجلسان فى الصالة أمام التلفزيون تشربان القهوة
بالهيل (الحبهان) وتثرثران عن كل شىء .. ولسوف
تكفان عن الكلام حين أدخل أنا ، مما يدل على أنهما
تتحدثان عنى قطعاً ..

هذه أشياء لا بد أن تحدث .. ولا بد أن أراها تحدث ..

طبعًا لم أكن أعرف وقتها أن مغامرة قاسية في
(كليمنجارو) لابد أن تحدث لى قبل أن أظفر بهذا
الترف .. سأرى (كينيا) كما لم يرها أحد .. وبعدها
يحق لى أن أظفر ببعض الراحة .. لكن هذا موضوع
الحكاية القادمة وليس هذه المرة ..

كنت أعقد ربطة عنقى فى ذلك الصباح واقفاً أمام
المرأة ، بينما (برنات) كانت بالفعل قد فرغت من
ارتداء المعطف الأبيض ، ولفت المسماع حول
عنقها .. لقد بقى على موعد العمل عشر دقائق لكنها
نشيطة منظمة رائقة البال .. هذا يسهل حين تكون
مسئولاً عن نفسك فقط ..

وابتسمت إذ تخيلتها تخوض صراعاً دموياً مع
وحش مربع كابوسى هو طفلنا .. طفلنا الذى قد
يظهر يوماً ما ليجعل حياتنا ملحمة إغريقية ..

قالت لى وهى تمشط خصلات شعرها الأشقر الذى
لا يحتاج إلى تمشيط فى الواقع :

- « ما زلت أجد من الصعب ألا يكون (ستيجوود) مديراً .. »

قلت لها في غيظ وأنا أضع المعطف على كتفي :

- « هل اشتقت إليه ؟ تباً للنساء ! »

- « بل هو التعود يا بنى .. التعود .. لو أن كوبرا

(رانجهال) اختارت بيتها تحت فراشنا ، فلا بد أنك

ستفتقدنا لو صحت يوماً فلم تسمع فحيحها .. »

ثم فكرت قليلاً وأضافت :

- « لماذا يحب الناس المال هذا الحب الجم ؟ »

- « لأنه رائع .. هذا هو كل شيء .. »

ثم بحثت عن المسماع بدورى ولففته حول عنقي

وأردفت :

- « إنه يحل مشاكل كثيرة .. فكرى فى بيت ذى

حديقة فى أهدأ موضع من العالم .. فكرى فى بحر لا يبعد

إلا عشرين متراً .. فكرى فى نزهة فى (سنغافورة)

أو الهند أو البرازيل .. فكرى فى يخت خاص وطائرة رياضية و ... فكرى فى أى شىء غير هذا السجن الذى نعيش فيه .. إتنى بشكل ما أفهم (ستيجوود) حتى لو كان قد بالغ بعض الشىء»
- « وهل كنت ستفعل ما فعله ؟ »

قلت فى لامبالاة وأنا أنظر حولى لأرى إن كنا قد نسينا شيئاً :

- « حتى هذه اللحظة لم أتعرض لأى إغراء .. ليس أمامى ما يسرق .. وأنا لا أملك الحكم على حراس المرمى الذين لم يتعرضوا لكرة واحدة طيلة المباراة .. لقد تعلمت أن كل إنسان يقضى حياته فى الفخر بأنه لم يقترب ذنباً ، فالحقيقة هى أن نطاق حياته بعيد عن أية فرصة لاقتراف الذنوب .. فإذا أتاحت له الفرصة .. حسن .. أنت تعرفين من أين يأتى اللصوص والمختلسون والقتلة ! إنهم من بيننا .. إنهم نحن ! هؤلاء أشخاص وجدوا الفرصة كاملة فأدركوا أنهم أضعف مما تصوروا .. أدركوا أنهم لم يكونوا قط شامخى الأخلاق كما حسبوا .. »

- « أنا لم أتعرض لأى إغراء ، واعتقادی الخاص
أننى سأقاوم وقتها ، وأن تربيتى القويمة ستصمد .. لكن
من يدرى ؟ إن الإغراء لمغر بحق .. وعندنا فى مصر
نقول (الشيطان شاطر) .. ضعى عشرة رجال ممن
يتشدقون بنبل الخلق والرفعة فى موقف يسمح
بالفساد .. ولكن أكدى لهم أولاً أنه لا خطر عليهم على
الإطلاق .. ما سيفعلون هو سر بينهم وبين ضمائرهم ..
ثم راقبى نتيجة التجربة .. أعتقد أن اثنين من العشرة
لا أكثر سيرهنون بحق على أنهم نبلاء .. »

بدت عليها الحيرة وقالت :

- « أنا أعرف أننى سأصمد .. »

- « وأنا أعرف أننى (سأحاول) أن أصمد .. ومن
يدرى ؟ لربما لعبت تربيتى دوراً وقتها .. ثمة مقولة
فى مصر معناها (من لم يشبع على مائدة أبيه فلن
يشبع للأبد) .. وأنا شبع على مائدة أبى بالتأكيد ..
لكنى أدعوا الله صادقاً ألا يضعنى فى موقف أتعرض
فيه لإغراء .. »

- « نحن نقول في صلاتنا : لا تدخلنا في تجربة ،
ولكن نجنا من الشرير .. »

هنا لاحظت في رعب أن الوقت قد حان وأنا فقدنا
أو كدنا مزية البكور .. لهذا فتحت الباب وأشرت لها
أن الوقت قد حان .. ليست المناقشات حول الأخلاق
هي أنسب شيء بعد الاستيقاظ من النوم ..

ذهبت هي إلى قسم الأطفال ، بينما اتجهت أنا إلى
مكتب المدير (سينوريه) ، وكانت السكرتيرات
الحسنات منهنمكات في العمل . طبعاً نقصن واحدة
هي (إيفيلين) .. وكان (سينوريه) من الطراز الذي
لا يريد كل هذا العدد في مكتبه .. إن ما تقوم به أربع
سكرتيرات يمكن أن تؤديه واحدة مخصصة .. هو بطبعه
لا يحب الاستعراض ولا المظاهر البراقة .. حاول أن
يقلل العدد قلم يفلح أو لم يطاوعه قلبه كي يفعل ..

أما عن السكرتيرات أنفسهن فالمرأة كما تعلم كائن
غريب شديد الغموض .. كان (ستيجوود) يضايقهن
ويتعامل معهن كفتيات جميلات لا كزميلات عمل .. وقد
ضايقهن ذلك كثيراً وأشعرهن بنوع من المهانة ..

فلما جاء (سينوريه) لم ترق لهن على الإطلاق
طريقته المهذبة الرسمية في التعامل .. وشعرن بأنه
- ربما - متعال أو أحمق .. بالإضافة إلى أنه كائن
غريب ناحل عصبي لا يمكن أن تقارنه بـ (ستيجوود)
الوسيم الأنيق كما يرينه ..

هذه من تناقضات الأنثى التي لا يمكن فهمها ..
المفترض أن يكون المدير وقحا ليتيح لهن أن يغضبن
ويتذمرن منه ، ويتحدثن عن (ضيق أفق الرجل الذي
لم يستطع قط أن يعتبر المرأة فردا نشطا في المجتمع
مثله) .. أما أن يتعامل بتهذيب وصرامة فهذه إهانة لهن ..

المهم أنني توجهت إلى المكتب ، وكانت علاقتي
بـ (سينوريه) معروفة من البداية ، لهذا كن يسمحن
لي بالدخول على الفور دون مناقشة .. بينما في عهد
سلفه كان على أن أنتظر عشر دقائق على الأقل على
سبيل الإعداد النفسي و (التطهير) ..

سألتني السكرتيرة (جين) ضاحكة :

- « أن من مصائب جديدة ؟ »

هزئت رأسي بمعنى أنني لا أذكر ، ثم مددت يدي
فتناولت قدح القهوة الذي أمامها فرشفت منه رشفة
كبيرة وسط عباراتها الاحتجاجية ، وقلت في شيء
من خجل :

- « معذرة .. إن القهوة تريح داء السل الرئوي
الذي أعانيه .. »

ثم تركتها ودخلت إلى المكتب ..

كان (سينوريه) صديقي العزيز العصبى جالساً
يتشاجر في الهاتف .. الحقيقة أنني لم أبتلع بعد فكرة
أنه صار رئيساً للوحدة .. هذا المقعد متسع عليه كما
أتصور .. لكن من ناحية السن والخبرة والمركز
العلمي ، لم يكن هناك إلا رجلان يصلحان للمهمة :
(سينوريه) والفقيد (جون ويلسلي) لو كان حياً ..

جلست دون دعوة ، وكان هناك (ترموس) ملىء
بالقهوة من دون شك ، فمددت يدي وأفرغت لنفسى
بعضها في كوب ورقي كان هناك .. ورحت أشرب وأنا
أتأمل الغرفة التي لم يتغير فيها شيء .. حتى شهادات

(ستيجوود) وصورته الجدارية العملاقة . ليس
(سينوريه) من طراز (رمسيس الثانى) الذى يزيل
كل أثر لمن سبقوه .. كأنما يزيلهم من التاريخ
ذاته ..

فى النهاية وضع الساعة وراح يبرطم بالفرنسية ،
ثم قال لى :

- « يريدون قتلى بكل هذه الأعباء .. »

هزئت رأسى بمعنى التعاطف ، فقال لى وقد تذكر :

- « هل أنت واثق من أنك راغب فى العودة إلى
(سافارى - 4) ؟ »

- « ظننت هذا مفهوماً يا سيدى .. إن مصر هى
وطنى الأول .. و(سافارى - 4) هى وطنى الثانى ..
فإن لم أستطع العودة لوطنى الأول كان وطنى البديل
على الأقل .. »

- « فعلنا كل ما يمكن كى نريحك والدكتورة
(عبد العظيم) .. »

- « وأنا أعترف بهذا شاكراً ، لكن الراحة ليست كل شيء .. هناك الألفة .. هناك التعود .. ومهما بلغ جمال المدرسة يشعر الطفل بحاجة ملحة إلى العودة إلى دأره المتواضعة بعد الظهيرة .. »

قال وهو يوقع بعض الأوراق :

- « ليكون .. لكن لا بد من أن تعطيني وقتاً .. لا بد من أن نستقدم طبيباً جديداً لحملة (كالا آزار) .. المشكلة هي أنك صرت جزءاً مهماً من الآلة .. »

- « هذا يؤكد ماقله للحكماء قديماً : لاتصر جوهرياً .. لاتكن عنصراً يستحيل الاستغناء عنه .. »

- « سنحاول الاستغناء عنك ، وإن كان هذا صعباً .. »

ولم يتكلم أكثر ، لكنى كنت أفهم .. إن منصب المدير يكبله بألف صدد .. لكن هذا الرجل يحبني ويحترمني مثلما أحبه وأحترمه بالضبط .. سوف يكون الفراق عسيراً ، لكنى سأكتب له بانتظام .. ومن يدري ؟ إن أعضاء (سافاري) أحجار على رقعة شطرنج .. لا يعرف

أحد أبداً أين يوضع الشهر القادم .. ربما يأتي هو
إلى (سافاري - 4) أو أعود أنا لأستقر هنا أبداً ..

كان يقلب الأوراق المتراكمة على مكتبه والتي
لا يعرف بالضبط الحل الصواب مع أكثرها . لابد أنه
الآن يعتبر أن (ستيجوود) كان عبقرياً ..
قال لي :

- « هناك انتداب في (نيروبي) .. وزارة الصحة
تريد أطباء .. »

اعتذلت في مقعدي وأرهفت السمع :

- « من يريد أطباء ؟ »

نزع عوينات المسافات المقعرة ليتمكن من القراءة
بشكل أفضل ، وأبعد الورقة قليلاً ثم قال :

- « مشروع دراسات الباراسيولوجي .. يبدو أن هناك
روساً في الموضوع .. »

ثم راح يقرأ بصوت خفيض كأنما يندن ، مما جعلني
أفوت نصف ما قال :

- « نم نم نم .. فائق الاحترام .. هممم ..
نم نم نم .. نم نم نم .. أشخاص من ذوى
الخلفية الطبية .. نم نم نم .. متطوعون لغرض
ورشة عمل .. نم نم نم .. عواصف دماغ
Brainstorming .. نم نم نم .. بروفيسور (بوريس
سيماكوف) الباحث الرئيسى فى المشروع .. »

- « كم طبيباً يريد ؟ »

عاد يقرأ الورقة من جديد مما دلنى على أن
تركيزه ضعيف :

- « مممم .. اثنان .. »

لم أنتظر حتى أفهم .. فقط جلست على طرف
مقعدى حتى صرت أقرب إلى الوقوف وصحت :

- « لماذا لا ترسلنى و (برنادت) ياسيدى ؟ أنا فى
حاجة جمة للتغيير .. »

نظر لى مفكراً بعض الوقت ، ثم قال :

- « أرسلك أنت ؟ »

- « و (برنات) .. »

- « و (برنات) ؟ »

فلو كنت أقل تهذيباً لقلت له إنه لا يتقاضى راتباً
كى يجلس هنا ويردد ما أقول .. بعد صمت طال قال :

- « دعنى أفكر فى الأمر .. »

نهضت وأنا على وشك أن أجثو على ركبتي
متوسلاً :

- « د. (سينوريه) .. لو كان عليك أن ترسل أحداً
فبأننى أتوسل إليك أن أكون هذا الواحد .. لاحظ أننى
لم أر (نيروبي) تقريباً .. »

- « سارى ما يمكن عمله .. »

وغرقى فى مزيد من الأوراق فرأيت أنه من الوقاحة
أن أكرر إلحاحى .

★ ★ ★

2- في نيروبي ..

كانت مشكلتي مع إفريقيا من البداية هي أنني ظللت دومًا نائيًا عن العواصم والمدن الكبرى .. دومًا أنا في بلدان صغيرة بعيدة .. أقرب إلى القرى ، لهذا اكتسبت طباع القروى الساذج الذى يبهره بريق المدينة ، والذى لا يصدق أن هناك مباني شاهقة وطرقًا نظيفة وسيارات وطائرات .

إن (نيروبي) عاصمة ضخمة تحبس الأنفاس .. ويمكنك بسهولة أن تعتقد أنك فى (لوس أنجليس) أو (ميونيخ) لولا أن من يحيطون بك سمر البشرة ..

كنت و (برنات) نقطع الشوارع مذعورين .. نتعثر فى خطواتنا من كل هذا الضجيج وإيقاع الحياة السريع .. بعد أشهر من الحياة فى مكان مغلق لا ترى من نوافذه إلا الأدغال وقرى (الكيكويو) ، تغدو الحياة فى مدينة مشكلة حقيقية ..

طبعًا من الواضح لك الآن أن المدير قبل إرسالنا
فى تلك المهمة العلمية ، وقد احتاج إلى أسبوع كى
يحزم أمره لكن العبرة بالنهايات كما ترى ..

إن (نيروبى) هى عاصمة البلاد ، وقد أنشأها
البريطانيون عام 1890 كمحطة ربط على خط القطار
الشهير (مومباسا - أوغندا) .. و(مومباسا) لمن
لا يعرف هى أهم ميناء فى البلاد ..

أقيمت (نيروبى) فوق أراض رعوية كان الماساى
يعيشون فيها .. وقد صارت عاصمة البلاد الرسمية
عام 1963 ، وإن عانت من اضطرابات مختلفة وحروب
أهلية فى تسعينات القرن العشرين ، بسبب ارتفاع نفمة
المعارضة ضد الرئيس الكينى (دانييل موى) .. فى
الحقيقة أين هى الدولة الإفريقية التى لاتعيش تلك
الاضطرابات منذ الاستقلال فى الستينات ؟ أو كما يقول
الأمريكيون : أليسوا كذلك جميعًا ؟

من الناحية الجغرافية البحتة ، هى مدينة مرتفعة ..
ربما نحو ألفى متر فوق سطح البحر ، لذا تعد من المدن

الباردة فعلاً .. وهو درس قاس لواحد مثلى يعتبر أن
زيارة أى بلد إفريقي تعنى أن يحمل معه قميصين
قصيرى الأكمام لا أكثر ..

سبق لى أن قلت إنها أقيمت فى أعجب مكان يمكن
أن توجد به مدينة .. إنها ترتفع عن مستوى البحر
كثيراً ، لكنها فى موضع منخفض بالنسبة للهضاب
المحيطة بها ، وبالتالي هى معرضة لسيول المطر
التي تنصب عليها فى موسمى الأمطار .. أى فى
صيف مصر وخريف مصر ! ويقال إن هذا كله بسبب
حمالة مهندس أخطأ فى حساباته وهو يضع أساس
هذه المدينة ..

لسوف تلاحظ أن النشاط الأساسى للمدينة كلها هو
السياحة .. السياحة نشطة جداً فى (نيروبي) ، وفى
كل موضع تجد مكاتب تنظيم رحلات (السافارى) ..
لكن (السافارى) ، لم يعد يعنى صيد الوحوش ولكن
مشاهدتها وتصويرها ..

ولا غرابة فى هذا ، لأن (نيروبي) بها أعظم محمية

طبيعية للحيوانات .. حيث يمكنك أن ترى وحوش الغاب تمارس حياتها بحرية تامة .. سوف تجد كذلك المتحف القومي وهو محترم برغم صغره .. وتجد مكتبة (ماكميلان) التذكارية وقاعة الكونسرفتوار ..

على أنني و(برنات) لم نر هذا كله ، لأننا قضينا ليلتنا مرهقين في غرفة تم حجزها مسبقاً في أحد فنادق المدينة .. كان فندقاً فاخراً على كل حال ..

في الصباح كان علينا أن نذهب إلى الجامعة كي نقابل البروفسور (بوريس سيماكوف) .. هذا هو الاسم الوحيد الذي نملكه .. والحقيقة أنني حتى تلك اللحظة لم أفهم قط ما إذا كنا متطوعين لدراسة ما ، أم مشاركين فيها ، لكنني فقط كنت أعرف أن أماننا عشرة أيام على الأقل لا نرى فيها ذات الوجوه ونمشي في ذات المواضع ..

كانت (برنات) منتعشة ، وشعرت كأنها طفل صمم على أن يستمتع بما يقوم به ..

سألته في لحظة صفاء ونحن نمشي في الشارع
المزدحم :

- « هل أنت راضية عني ؟ »

ابتسمت ولم تقل شيئاً .. فعدت أسألها :

- « راضية ؟ »

لم ترد .. ثم بعد دقيقة صمت قالت :

- « لماذا تفسده بالكلام عنه ؟ هناك أشياء تبتذل

قيمتها بتحويلها إلى كلمات .. ولكن أين ذهبت تلك
الجامعة ؟ »

الحقيقة أنه كان سؤالاً سخيلاً لأننا كنا واقفين
أمامها بالضبط ..

كان مكتب الدكتور (ويليام سوبا) صغيراً ضيقاً لكنه
مريح .. وقد أحسن استقبالنا ، ثم جلس إلى أحد المقاعد
أمام المكتب لا خلفه كي يشعرنا بالألفة .. كان رجلاً

ممثلًا شديد السواد أقرب إلى القصر ، وله ابتسامة
أسرة كابتسامات الأطفال .. خاصة أنها تبدو كثقب
أبيض يتسع في وجهه الأسود ..

قال لنا بينما هو يخرج من ثلاجة صغيرة بعض
علب المياه الغازية :

- « جئتما مسافة لا بأس بها .. لكنى أعتقد أنكما
ستحبان المناخ هنا .. »

قلت له وأنا أنظر لـ (برنات) لأرى إن كنت قد
أخطأت فى شيء :

- « فى الحقيقة ياسيدى ما زلت عاجزًا عن
الفهم .. هل نحن سائحان أم ضيفان هنا ؟ هل نحن
منتدبان للمساهمة فى البحث العلمى أم لإجراء تجارب
علينا ؟ »

ثم ابتسمت وقلت فى كياسة :

- « والسؤال الأهم هو .. من أنت ؟ لقد جئنا هنا
لأننا سألنا عن الدكتور (بوريس سيماكوف) .. »



قال لنا بينما هو يخرج من ثلاجة صغيرة بعض علب المياه
الغازية : - «جئتما مسافة لا بأس بها» ..

ضحك كثيرًا ، ثم قال :

- « هذا سؤال من حقك .. أنا رئيس قسم علم النفس هنا .. أنا لست طبيبًا لكنى باحث فى أسرار النفس .. والبروفيسور (سيماكوف) ضيف عزيز علينا ، لكنه ليس صاحب البيت .. إنه يدير المشروع بينما أنا المنسق الكينى لكل شيء .. »

- « لم أعرف جواب الشق الأول من أسئلتى .. »

- « هل أنتما متطوعان أم باحثان أم ضيفان ؟ الحقيقة هى أنكما خليط من هذا كله .. »

ووضع ساقًا على ساق وقال :

- « أحب أن تفكرا فى الأمر باعتباره لعبة أطفال مسلية ، تلعبانها بضعة أيام ثم تعودان إلى بيتكما مع الشكر .. »

هنا تكلمت (برنات) لأول مرة .. وكان سؤالها ذكيًا كالعادة .. (برنات) لا تسأل أسئلة غبية إلا فيما يتعلق بمكان الجامعة :

- « من الغريب أننا أجنبيان عن (كينيا) .. فهل
هذا شرط مهم للعمل ؟ »

- « إلى حد ما .. لكن هذا الطراز من الأسئلة
يوجه له لالى »

- « هل هناك آخرون ؟ »

- « حوالى عشرة .. كلهم - كما لاحظت أنت - من
جنسيات غربية مختلفة .. لدينا فرنسيون وألمان وياباني
 وأمريكي .. الآن أضفنا مصر وكندا إلى القائمة .. »

هنا دق جرس الهاتف فرفع السماعه وأنصت
باهتمام ، ثم قال لمحدثه :

- « ليكن .. نحن قادمون .. »

ثم نظر لنا وابتسم :

- « أرى أن تفرغنا من الشرب سريعاً ، لأن البروفسور
(سيماكوف) ينتظركما .. »

★ ★ ★

لم يكن معمل دراسات (الباراسيكولوجى) مبهرًا
بشكل خاص .. ليس هناك هنود ممن يمارسون
اليوجا ولا توجد مقاعد تتحرك لو خطر هذا ببالك ..

إن علم (الباراسيكولوجى) - أو (ما وراء علم
النفس) - هو علم يتعلق بدراسة الحواس التى نملكها
ولانعرف أننا نملكها .. وهى حواس غير تلك الخمس
المعروفة لنا .. خذ عندك الحاسة السادسة والسابعة
والثامنة .. إلى ما شاء الله ..

هى حواس يقال إنها كانت عندنا جميعًا ثم انقرضت
بفعل التمدين .. كما جعلت أضواء المدينة المبهرة
من المستحيل عليك أن ترى النجوم كما كان يراها
أجدادنا .. ترى منذ متى نظرت للشمال ورأيت وعاء الذهب
الأكبر واضحًا صافيًا ؟ لا بد أن هذا كان من قرون ..

يطلقون على علم دراسة تلك الحواس اسم
(باراسيكولوجى) .. هواة التحديق منا يعرفون أن
(بارا) بادئة يونانية معناها (جوار أو وراء) ..
و (سايكولوجى) هو علم النفس طبعًا ..

وكعادة الأمريكيين في تدليل كل شيء واختصاره ،
يتحول اسم (باراسيكولوجي) إلى Psi .. وأحياناً يطلقون
عليه اسم ESP أي (الإدراك الفائق للحواس) ..

هذه علوم - فيما أراه - لاتخلو من الصحة والأهمية ..
لماذا يدق الهاتف حين تفكر في صديقك ويتضح أنه
هو ؟ لماذا تختنق الأم وتتقبض حين يجرح ابنها في
ميدان الحرب ؟ لماذا تشعر بالهجوم على ظهرك من
قبل أن يحدث ؟

هذا ما أعرفه عن الموضوع ، وعلى كل حال لم
أكن يوماً من المهتمين بهذه الأمور ، وأشعر بأنه علم
غير قابل للقياس والتكرار والتفسير ، لهذا أتجاهله
كلية .. لكنني أعرف أن السوفييت اهتموا به كثيراً ،
ولهذا من الطبيعي أن نجد هنا طبيباً روسياً - لم يعد
سوفييتياً طبعاً - يهتم بالأمر ..

ولكن ما قصته ولماذا اختار (كينيا) بالذات ؟

هذا ما سأعرفه بعد قليل ..

كما قلت لك كان المختبر مخيباً للآمال .. بل هو أقرب إلى مختبر الكيمياء الحيوية العتيق فى كليتى .. هناك قفصان فيهما بعض الفئران (لا بد أن هذا مصدر الراحة) .. وقفص أكبر فيه كلب تعس .. وثمة مجموعة من الأجهزة العتيقة التى تذكرك بأجهزة رسم القلب أو - إن كنت تهوى الأفلام الأمريكية - جهاز كشف الكذب ..

أما عن البروفسور (بوريس سيماكوف) فهو الذى يقف وسط هؤلاء الخمسة .. إن له مزية مهمة جداً هى أنه لا يمتاز بأى شىء على الإطلاق .. ليس وسيماً وليس قبيحاً .. ليس أنفه عملاقاً وليس دقيقاً .. ليس ضخماً ولا ضئيلاً الحجم .. نظراته غير ثاقبة لكنها كذلك ليست خابية .. هل هو أنيق ؟ لا أعرف .. مجرد سترة رمادية مفتوحة من تحتها كنزة سوداء عالية الرقبة .. وجهه حليق تماماً وبلا عوينات .. حتى لون عينيه كارثة لأنها مزيج من الأزرق والرمادى والأخضر والذهبى والأسود .. الخلاصة أنه كان مشكلة حقيقية لرسام الشرطة الذى سيحاول تكوين صورته

من أقوال الشهود ، بعد ارتكاب (سيماكوف) جريمة قتل ..

أضف لهذا أن ذلك الشعور غير مريح على الإطلاق .. أنا تعاملت مع أحط أنواع البشر لكنى أجد التعامل معهم أكثر راحة من التعامل مع هذا الإنسان الأميبا الذى لا شكل له ..

كانت تقف جواره فتاة لابأس بجمالها ، لكنها تحمل طابعاً عملياً (سوفييتياً) خشناً إلى حد ما .. وأنبأتني أسنانها وتجاعيد وجهها أنها مفرطة فى التدخين ..

- « (كاتيا شلوندروف) .. مترجمة من (موسكو) .. »

قالتها بالفرنسية وصافحتنى بيد خشنة قوية أشعرتنى بأثنى فتاة رقيقة هشة .. ثم صافحت (برنادت) بقوة أكبر ، ونظرت إلى البروفسور الكبير الذى رسم على وجهه ما يشبه ابتسامة ، وقال أشياء على غرار :

- « زدر است فوى تى .. تافاريش .. خاراشو ..

الخ .. الخ .. »

قالت لنا بتلك الطريقة الرسمية الجافة كأنها فى
الأمم المتحدة :

- « بروفيسور (سيماكوف) يرحب بكم فى هذا
المعمل الصغير ويتمنى لكم أن تستمتعوا بهذه الفترة
الوجيزة التى ستمضونها معنا .. »

قالت (برنادت) وهى تفك أصابع كفها التى التصقت
ببعضها بعد المصافحة :

- « تشرقنا .. لكنى كنت أفضل لو بدأنا الكلام بدلاً
من الرسميات .. »

بدأت الفتاة تقدم لنا مجموعة الواقفين .. طبعاً
حين انتهت لم نكن نذكر اسماً واحداً .. فقط فهمنا أن
هؤلاء هم زملاؤنا فى التجربة وهم من جنسيات
متعددة ..

- « مجموعة من الأشخاص لهم عدد من الوجوه
والأسماء » .. هكذا قلت لنفسى .. ووجدت أن هذه
النتيجة كافية جداً وتلخص كل شيء ..

لكن مازالت هناك عدة أسئلة أشعر بأن الحياة
ستكون أكثر إشراقاً لو عرفت إجاباتها :

- 1- لماذا كينيا بالذات ؟
- 2- لماذا غير الكينيين بالذات ؟
- 3- ما هذا الذي سنقوم به ؟

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

3- هؤلاء الرجال العظام وتجاربهم الفامضة ..

هذا العنوان مقتبس من فيلم أجنبي بالغ الشهرة ، ولا يعنى بحال أنى أعتبر هؤلاء القوم عظاماً .. ربما أعرف هذا فيما بعد ، أما اليوم فأنا فضولى لا أكثر ..

كنا جالسين الآن إلى منضدة صغيرة فى المعمل على شكل حلقة نصفى إلى ذلك الروسى ، وهو يكلمنا عن طريق المترجمة .. وقد بدا لى واضحاً أن الآخرين لم يسبقونا بمسافة طويلة .. إذن لم يفتنا شىء تقريباً ..

قال لنا وسط حلقات الدخان التى تبعثرها لفافة تبغ المترجمة التى فهمت أنها لا تفارق شفتيها :

- « أنا أستاذ علم نفس زائر هنا فى (كينيا) ولى جدولى التدريس الخاص ، لكنى حملت معى اهتماماتى الخاصة من (موسكو) .. لا أحاول أن أدعى المجد أو الشهرة ، لكنى من علماء الباراسيكولوجى المهمين فى وطنى .. وأنتم تعرفون التجارب الجادة الصارمة

التي تم إجراؤها عندنا على تحريك الأجسام عن بعد
(سايكوكينيزيس) والتخاطر (تليثاى) .. أبان الحرب
الباردة قيل إن الاتحاد السوفييتى يملك كتيبة من
قارئى الأفكار بعشرهم فى الولايات المتحدة وأوروبا
الغربية .. حسن .. لن أعلق على هذا .. لكنى كنت
قريباً جداً من هذا المشروع .. »

.. « بعد انهيار الاتحاد السوفييتى تدهورت حالة السلك
الجامعى المالية ، وشعرت بأن على أن أجرب حظى فى
بلدان أخرى تحتاج إلى علمى ويمكنها أن تنفع جيداً ..
وهكذا استقر بى الحال فى جامعة (نيروبي) ، وبرغم
الصعوبات اللغوية الجمة فإتنى استطعت أن أنجح
وأن يكون لى تلاميذ متفوقون .. »

للمرة الأولى نطقت (برنادت) :

.. « هل تلقى محاضراتك مع الترجمة ؟ »

نقلت له المترجمة هذا السؤال فقال :

.. « لا .. إن لغتى الإنجليزية سيئة جداً لكنها مفهومة .. »

أنا الآن أستعمل الروسية من أجل مزيد من اللغة
الطلقة التي تعبر عن أفكارى أكثر»

ثم عاد إلى الموضوع :

- « قمت للمرة الأولى بإنشاء مختبر للباراسيكولوجى ،
وهو نشاط غير مألوف فى هذا الموضع من
العالم .. لكن نظريتى كانت هى أن الإدراك الفائق
للحواس أكثر تطوراً لدى الأجناس البدائية من
البشر .. أو بعبارة أخرى لنقل إن صدا الحضارة لم
يغط تلك الحواس بعد .. إن القط يشعر بدنو الزلازل
وبالحرائق ، ربما لأن الحضارة لم تطغ على حواسه
المرهفة .. ورهاتى كان على أن الإنسان البدائى
يملك هذه القدرات مثل القط بالضبط .. وقد وقع
اختيارى على قبائل الكيكويو التى - برغم أنها ليست
بدائية تماماً - تعطى فكرة لا بأس بها عن الإنسان
البكر الذى لم يفسد حواسه التلفزيون والكتب وعادم
السيارات .. »

- « لم يكن الأمر سهلاً لكنى حصلت على نتائج

مهمة جدًا .. هنا تبقى مشكلة العلم التقليدية .. لا يمكن أن أقول إن (إيفان) قصير القامة أو طويلها ما لم تكن عندي فكرة واضحة عن القامة المعتدلة .. أنا بحاجة إلى مجموعة قياسية من البشر المعاصرين .. البشر الذين تعلموا وذهبوا إلى المدرسة وعرفوا الكاميرا والسينما وقادوا السيارات وقرعوا الصحف .. هنا خطر لى أن أستقدم مجموعة من الأطباء من جنسيات مختلفة لكنهم ليسوا من الأهالى هنا .. يمكن القول إن الطبيب هو النموذج الأفضل للحضارة المعاصرة التى حجبَت النجوم عن أعيننا .. تشاورت مع وزارة الصحة وقد سمحوا لى باستضافة بعضكم ، وأعتقد أن أحدكم لم يأت هنا إلا بكامل إرادته الحرة .. »

- « بكامل إرادته الحرة » .. هذا هو أسلوب مصاصى الدماء .. يقال إنهم لا يمتصون إلا دماء من جاعوا على أقدامهم بكامل إرادتهم الحرة ، وهم يحبون دوماً أن يتأكدوا من هذه النقطة .. طبعاً - فى القصص - يلعبون شتى أنواع الحيل كى تأتئهم الضحية بإراداتها .. أو ما تحسبه إراداتها ..

قالت (برنات) باسمه :

- « إذن نحن هنا لأن الحضارة أفسدتنا وأتلفت حواسنا .. »

- « بالضبط .. هذا هو ما أعنيه .. »

- « وما المطلوب منا بالضبط ؟ »

- « هذا هو موضوع التجارب التي نبدوها حالياً .. »

★ ★ ★

- « حقاً يا إخواني كان الأمر أقرب إلى لعبة .. وقد بدا أن الجميع مستمتعون بوقتهم .. وتصاعبت ضحكات لا توحى على الإطلاق بأن هذا معمل .. »

بالتأكيد يحق للناس أن ينظروا إلى هذه الأبحاث بشيء من الشك في جديتها ..

قال لنا البروفسور عن طريق مترجمته :

- « إن حاسة الـ Psychometry أو (القياس النفسي) هي موضوع أبحاثنا .. وهي حاسة محترمة ويستخدمها

رجال الشرطة كثيرًا جدًا .. وأكثر الدراسات تقدر
أنها موجودة بالفعل لدى سبعة أشخاص من كل
عشرة .. سميت بهذا الاسم لأن الطبييين (بوكاتان)
(دنتون) قالوا إنها الحاسة التي تعطيك القدرة على
قياس الوجود النفسى للأشياء الجامدة .. هذه الحاسة
تتعلق بقدرتك على استخلاص معلومات عن جسم
مادى بمجرد لمسه .. لو كان من الصحيح أن لنا
هالات إكتوبلازمية ، فإن بوسعنا أن نترك أجزاء من
ذواتنا على ما نلمسه .. وموهبة (السايكومتري)
تتعلق بقدرتنا على معرفة هذه الأجزاء .. يقال إن
الأجسام المعدنية تتمتع بكفاءة خاصة فى الاحتفاظ
بمعلومات عن يلمسها^(*) .. »

ثم رفع يده وأمر مترجمته بأن تخفض الإضاءة
فى القاعة إلى أقصى حد لها ، وقال بصوت رتيب :
- « الآن .. نرجوكم الصمت .. »

(*) طبقاً كل المعلومات والتمارين الواردة فى هذا الكتيب حقيقية ..

الخطوة الأولى هي التنفس باسترخاء .. لا أعرف أهمية التنفس في هذه التجارب لكنها جميعاً تصر عليه .. والتنفس باسترخاء يعنى أن تأخذ نفساً بالأنف وتحبسه لثوان ، ثم تخرجه من الفم ببطء ..

بعد هذا وضع في يد كل من الجالسين جسماً معدنياً (قلمًا أو مفتاحاً) وقال :

- « اقترح أن تضعوا الشيء في اليد اليسرى ، لأن الطاقة تدخل الجسم من الناحية اليسرى وتغادره من الناحية اليمنى »

ثم طلب منا أن نتحلى بالصبر ولا نفقد هدوءنا .. على كل منا أن يحاول تحرير عقله وأن يستحضر ما يراه في ذهنه .. سوف تتشكل صورة وعلى كل منا أن يصف هذه الصورة في مفكرة صغيرة ..

ومر الوقت ببطء ، وبدأ البعض يدونون ما رأوه .. ماذا أراه ؟ لا شيء .. شعرت بخجل من نفسي كاتنى في امتحان الثانوية العامة أجلس بلا عمل ، بينما كل من حولي يكتبون بلا انقطاع ..

بدأت أرسم بعض الخطوط على المفكرة ، ثم وجدت
أن هذه الخطوط توحي بشكل معين .. يبدو أن الحيلة
ناجحة .. بدأت أوصل الخطوط في حماسة .. وفي النهاية
وجدت نفسي أهدق في صورة لا بأس بها لخنزير !

مرت ساعة كاملة ، ثم نهض (سيماكوف) وراح
يجمع الأوراق والأجسام المعدنية من أيدينا :

- « لا بأس .. ممتاز .. لا بأس .. سيئ .. »

بهذه العبارات راح يصحح لنا أوراق الامتحان بشكل
سريع .. وظفرت (برنات) بـ (ممتاز) فالتفتت لى
وكورت أنفها بطريقة (التشنيكة) الشهيرة كأنما هي
طفل نال أعلى درجة في الإملاء ..

وصل الرجل لى فتناول الورقة ونظر إلى ما عليها ..
ثم تقلص وجهه فى اشمئزاز وغيظ وواصل الجولة ..
هنا تذكرت .. إنه هو على الأرجح أكثر من لمس المفتاح
الذى كان فى يدي ، وبالتالي ليس من الإلهام الموفق أن
أرى خنزيراً فى عقلى الباطن كلما لمست هذا المفتاح !

فى النهاية وقف أمامنا وقال عبر المترجمة :

- « هذه هى تمارين اليوم الأول .. بعضكم يملك الحاسة لاشك فيها .. وبعضكم لا يملكها على الإطلاق .. »
- وهنا نظر لى نظرة لا تخفى على أحد - « علينا أن نتذكر أن الرؤى التى رأيناها قد لا تكون بهذا الوضوح .. قد لانفهمها الآن .. وقد لانفهمها للأبد .. لكنها العلامة الأولى على أن حواسنا تنفض عنها الصدا .. سنواصل العمل ولن نئس .. أراكم غدًا فى التاسعة صباحًا فى نفس المكان .. »

بعد انتهاء التجربة وثبت (برنات) كطفل مرح ، وهتفت :

- « هل رأيت ؟ إن عملنا هنا سيكون نزهة ! كان هذا هو كل المطلوب منا اليوم !! إننى أهيم حبا بهذه التجارب التى لامعنى لها ! »

- « وماذا رأيت فى غيبوبة (الترانس) التى مررت بها ؟ »

ضحكت وقالت بلهجة تمثيلية :

- « رأيت امرأة .. رأيت امرأة عجوزًا كأنما جاءت
من الأبدية .. وكانت لها ثلاث أسنان ناقصة .. »

- « وكتبت هذا ؟ »

- « وصفت المرأة بالتفصيل كأنما أراها .. لا بد
أن هذا المفتاح الذى كان معى كان يخص خالة
(سيماكوف) العجوز .. ربما كانت تغلق به المطبخ
كى لا يسرق المربى ! »

ثم تركتنى ولحقت بالواقفين كى تتبادل معهم
الأحاديث المرححة ..

وأدركت من الأحاديث أن هناك تلاميذ فاشلين كثيرين ،
لكنى العبقرى الأوحى الذى رسم خنزيرًا ، سيمر وقت
طويل إلى أن يتوصل علم (الباراسيكولوجى) إلى أن
يفهمنى ..

4- الآن نرجوكم الصمت ..

فى الصباح التقينا وتبادلنا الابتسامات .. كان هناك نوع من المودة قد سرى بيننا .. كان الموجدون أطباء لكنهم ليسوا من (سافارى) .. أكثرهم يعملون فى (كينيا) مع جهات حكومية أخرى ..

وقال لى الطبيب الأمريكى الوحيد بينهم :

- « هل رأيتم (نيروبي) جيداً ؟ »

قلت له :

- « ليس بعد .. كنا نظن أننا سنكون منهمكين .. لكنى الآن بدأت أعتقد أن لدينا من الوقت مايسمح بدراسة كل حجر .. »

ضحك .. وبدأ لى شخصاً ودوداً .. كنت أو من دوماً أن كل أمريكى شخص لطيف طلق بسيط حين تتعامل

معه وحده .. لكن حين يجتمع أكثر من شخص
لتتكون منهم (دولة أمريكية) فإن الأمور تختلف ..

دخل البروفسور مع مترجمته ليقول لنا :

- « داو بروى أوترا »

ثم بدأ يشرح لنا أن درس اليوم يتعلق بمملكة
النبات ..

- « سأعطى كلاً منكم صخرة من الطبيعة .. سيمسك
بها كل واحد في يده ويغمض عينيه .. ليتخيل أنه
جزء منها .. ليتخيل أنها حقيقته الحالية .. لينظر بعيني
الحجر .. ليفكر مثله .. إنه قطعة من ذاتك ، ويمكنك أن
تعلم كيف تحركه .. بل يمكنك أن تحركه لو أردت هذا
حقاً !! لكن من فضلك لا تفقد أعصابك ولا تشتم الشيء
لأنه لا يستجيب .. اسأله عن الناس .. عن الأشجار ..
عن الكون .. »

ثم رفع يده وأمر مترجمته بأن تخفض الإضاءة
في القاعة إلى أقصى حد لها ، وقال بصوت رتيب :

- « الآن .. نرجوكم الصمت .. »

ودارت علينا المترجمة تقدم لكل منا صخرة .. تبادلنا
و (برنادت) نظرة باسمه لها ألف معنى ، ثم أمسكت
الحجر وبدأت أثرثر معه ذهنيًا ..

يجب أن أنظر بعيني الحجر ..

يجب أن أفكر مثله ..

يجب أن أحركه حقًا !

- « اكتبوا ماترون وما تشعرون وما تسمعون .. »

مضت بضع دقائق على هذه التجربة ثم بدأ البعض
يدونون ما رأوه .. كالعادة لم يكن لدى ما يقال لهذا
كتبت في الدفتر :

- « هذا الحجر ثقيل .. ثقيل .. »

وظللت أكرر لفظة (ثقيل) حتى ملأت الصفحة ..

انتهى الزمن الأصلي للامتحان ، وراح المراقب يمر
لينزع الأوراق من أيدينا مع عبارات من طراز :
جيد .. رديء .. متوسط ..

فلما رأى ورقتي لم يقل شيئاً على الإطلاق ..
وواصل جولته ..

- « أنظر بعيني الحجر وأفكر مثله ! » كم بقي من
الوقت على مستشفى الأمراض العقلية إذن ؟
هنا سمعت البروفسور يقول بالروسية ومترجمته
تترجم :

- « أنت تتمتعين بموهبة لاشك فيها »

نظرت إلى تلك الموهوبة فوجدت أنه يتكلم مع
(برنادت) ! إذن الخبيثة تملك إدراكاً فائقاً للحس !
وكانت هي تتنظر لي في خبث طفولي باعتبارها تفوقت
على بشكل واضح ..

قلت لنفسى : لا بأس . إن كان الفشل في هذا الاختبار
يعنى أن الحضارة قد غطت مواهبى فاتنى لفخور بهذا
الفشل .. وإلا لكان التفوق حليف أى محارب من
قبائل (البوشمان) يرقص حول النار ..

سبعة من كل عشرة يملكون هذه الموهبة .. أنا
الثامن أو التاسع أو العاشر .. حقاً إننى لعبقري !

و حين جلست جوارى همست فى أذنها :

- « أرجو ألا يتضمن الدرس التالى التهام اللحم
النئى لتحديد نصيبك من الحضارة .. »

قالت ساخرة :

- « هذا اختبار للشفافية .. وقد نجحت فيه وأنت
رسمت ! »

ولكن كانت أمامها بضعة أيام قبل أن تتكلم عن
النجاح أو الفشل ..

★ ★ ★

- « درسنا اليوم يتعلق بمملكة الحيوان .. »

ومرت علينا المترجمة التى لا تفارق لفافة التبغ
شفتيها حتى إننى بدأت أحسبها زائدة خلقية يمكن
إزالتها بجراحة دقيقة .. مرت علينا وهى تحتضن
مجموعة من الجراء الصغيرة اللطيفة .. تلك الجراء
التي لا تعرف عن الكون إلا أنه المكان البارد الذى
يجعلها ترتجف .. ولم تكن هناك مشكلة فى التعامل

معها حتى لكارهى الكلاب ، لأنها كانت أقرب إلى
دمى أطفال ..

تساءلت همسا :

- « هل حان وقت درس التهام الجراء ؟ »

هنا علا صوت المترجمة تنقل لنا تعليمات
الدرس :

- « ضع يديك على الجرو .. انقل له بذبذبات يديك
رسالة من الحب والسلام والحنان .. لسوف
يفهمها .. ركز تفكيرك كما فى المرات السابقة
واستقبل ما يقول .. خذ منه كل شىء .. لسوف تتعلم
منه الكثير .. »

ثم رفع يده وأمر مترجمته بأن تخفض الإضاءة
فى القاعة ، وقال بصوت رتيب عبارته المعتادة :

- « الآن .. نرجوكم الصمت .. »

وهكذا بدأت جلسة المخابيل هذه .. أعرف أن

(السايكومتري) علم ، لكنى لا أقبل هذا النوع من العلوم .. من يدرى ؟ يبدو أننى على أكثر من اللازم ..

وتوالت التجارب يوماً بعد يوم ..

حتى وصلنا إلى عملية قراءة البشر .. المفترض أن يجلس اثنان متواجهان ويغمضان العيون ويمسك كل منهما بيدي الآخر ويفكر .. ياسلام ! لا أجد فرقاً هنا بين التجريب العلمى والهيام .. لهذا ولأسباب لا تخفى على أحد أصررت على أن تكون زوجتى (برنات) هى رفيقتى فى هذه التجربة ..

وهكذا جلسنا متلامسى الأيدي ، ورحت أركز تفكيرى .. لكنى لم أصل لشيء .. كان ذلك الخنزير الأبدى يطارد أفكارى طيلة الوقت ! وأدركت أنه تحول إلى نوع من الوسواس القهرى الذى لا يأتى إلا حين لا أريده .. أما هى فراحت تبسم فى خبث مغمضة العينين .. ماذا فى ذلك ؟ أنا لا أملك أية أسرار لا تعرفها .. ليس لدى مزاج ولا بال رائع

يسمحان لى بأن ألعب دور الرجل الغامض اللعوب
كما يحب كل الأزواج أن يفعلوا مع زوجاتهم .. حتى
الرجل الذى يشبه خلد الماء ، والذى لم تعجب به أية
امراة إلا المرحومة أمه .. يصر على أن يبدو أمام
زوجته كأنه (دون جوان) الذى تاب أخيراً ..

لماذا تبتسم إذن هذه الخبيثة ؟

قالت وهى تواصل التأمل :

- « أنت تحبنى ولا تعبأ بأية امرأة أخرى .. أنت
(رجل امرأة واحدة) كما يقول الإنجليز .. هذا مؤكد .. »

- « ماكنت لأحتاج إلى هذا (السايكومتري) لأكتشف
ذلك .. »

- « وتفكر فى الخنزير كالعادة !! »

هنا ارتجفت .. ربما كانت مصادفة هى تعرف
هاجس الخنزير الذى يطاردنى طيلة الوقت ، لكن
كونها تقول هذا الآن فقط جعل شعرمفرقى يتصلب ..



لماذا تبغضهم إذن هذه الخبيثة ؟ - قالت وهي تواصل التأمل !
- «أنت تحبني ولا تعبا بأية امرأة أخرى» -

كانت الاختبارات التالية فى أغلبها تدور حول
كيس معلق ..

كانت المترجمة النشيطة تدور علينا كأنها تتسول ،
وكانت تطلب من كل منا أن يدس فى الكيس شيئاً
دون أن يعرف الآخرون ، ثم بعد ما تنهى الجولة ،
تعود وتطلب من كل منا أن يأخذ شيئاً عشوائياً من
الكيس .. عليه بعد هذا أن يتأمل ..

- « الآن ترجوكم الصمت .. »

يعلمها الروسى مدوية ، وتهدا الأضواء ، بينما
يتحسس كل منا الشيء الذى فى يده محاولاً الاستزاج
به .. التفكير مثله .. مشاهدة رؤى معينة ، وهذا
الرؤى لها ارتباط مهم بصاحب الشيء ..

راح كل منا يدون ما شعر به ، ورأيت (برنادت)
تكتب فى حماسة .. وأنا الآخر كتبت الكثير جداً ..

فى النهاية دارت المترجمة علينا تقرأ ما كتبناه ..
ثم تسأل وهى تلوح بالشيء :

- « من صاحب هذا القلم ؟ »

ترتفع يد تقول إنه لها ..

- « هل هذه الرؤى تعنى لك شيئاً ؟ »

أحياناً تكون الرؤى واضحة مثل صاحب القلم نفسه يكتب به .. وأحياناً تكون غامضة نوعاً مثل منظر فى الريف فى يوم مطير .. وأحياناً لا تكون للرؤى علاقة بأى شىء على الإطلاق ..

وجاء دورى فراحت تقرأ ما كتبت :

- « أرى صاحب هذا القلم يبتاعه بنصف دولار من متجر فى (نيروبي) .. أراه يكتب به ثلاث رسائل ثم يفقده .. ثم تجده ممرضة فى مستشفى فتسأل عن صاحبه وتعيده إليه .. إلخ .. إلخ .. »

قصة حياة قلم كاملة على الورق ، ونظر لى الجميع باتبهار .. فهذه أوضح رؤى اليوم ..

قال البروفسور الذى يفهم الإنجليزية :

- « ماسر هذه الشفافية المفاجئة ؟ اعتدت أنك معتم كالرصا ص .. »

قلت في خجل :

- « السبب بسيط هو أن هذا القلم قلمي ! لقد وضعته
في الكيس ثم عاد إليّ بالصدفة ! »

طبعاً لا ادعى لاستكمال المشهد .. كما أنه لا ادعى
لحكاية ما حدث في الأيام التالية ..

★ ★ ★

فقط بعد أسبوع آخر أعلن البروفسور أنه انتهى
من كل التجارب وأن بوسعنا العودة لقواعدنا ..

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

5- عن القياس النفسى ..

كان جالساً إلى الحاسب الآلى فى المعمل ، حين دخلت إليه فى ذلك اليوم .. كنت مبكراً عن الآخرين ، وقد طلبت منى (برنادت) أن أسبقها لأنها تتبادل حديثاً مرحاً مع طبيبة كندية أخرى .. فوجدت (سيماكوف) وحيداً ، ورائى لى هذا برغم أننى غير مهتم بالموضوع ككل .. لكنى تذكرت النشوة التى كنت أشعر بها فى طفولتى حين أذهب للمدرسة آخر العام لأكتشف أننى الأحق الوحيد الذى لم يبق فى داره ليستذكر .. عندها كنت أجد المدرس وحده .. المدرس المهيب الذى يفصلنى عنه حاجز دائم لا يزول .. اليوم هو أمامى وملكى وحدى !!

كانت الكتابة على الشاشة بالروسية ، لهذا لم أفهم شيئاً .. لكننى حييته بالـ (داو بروى أوترا) التى حفظتها .. فرد التحية بمثلها وواصل العمل ..

سألته عن نتائج البحث فقال بإنجليزية رديئة
كالعادة :

- « ليس بعد .. ليس بعد .. أحتاج إلى دراسات
إحصائية ، ولاتنس أن العينة قليلة جدًا بحيث يصعب
أن تستخلص نتائج منها .. إننى أكرر العمل ذاته منذ
عام .. »

ثم ابتسم بخبث وأردف :

- « ما زلت أحتفظ لنفسى بالحق فى استدعاء أى
واحد منكم متى أردت ! »

سألته وأنا أتخذ لنفسى مقعدًا :

- « هل تقيس قدراتنا أم تدريبها ؟ »

- « الاثنان معًا .. إن المنحنيات ترتفع للجميع من
تجربة لأخرى .. ربما باستثناء قليلين لا يبدو أن لديهم
أى مستقبل فى عالم الإدراك الفائق للحواس .. »

كنت أعرف واحدًا على الأقل من هؤلاء القليلين ..
لهذا تحاشيت الموضوع بسرعة ، وعدت أسأله :

- « أريد أن أعرف أكثر عن هذا (السايكومتري) .. »

ضحك في عصبية بصوت غليظ اعتقد أنه خاص
بالروس دون سواهم ، وقال :

- « من الخطأ أن يعرف الشخص موضع التجربة
تفاصيلها .. هذا يلعب دور الإيحاء .. »

- « لا تنس أننا عائدون إلى بيوتنا ولم نعد مواضيع .. »

هنا دخلت (كاتيا) المترجمة المختبر ، وهي تحمل
بعض الأوراق .. فتتهاد وأشار إليها وقال شيئاً ما ،
فوضعت أوراقها جانباً وأشعلت لفافة تبغ وقالت لى :

- « إن البروفسور يطلب منى أن أترجم ما سيقول
فهذا سيجعل الكلام أسهل .. »

- « وأنا أرحب بهذا .. فأنا أرحب في الفهم »

أغلق النافذة التي أمامه على الحاسب الآلى وبدأ
يتكلم ..

قال (سيماكوف) :

- « كما قلت لك فإن حاسة الـ Psychometry أو (القياس النفسى) سميت بهذا الاسم لأن الطبييين (بوكاتان) و(دنتون) قالوا إنها الحاسة التى تعطيك القدرة على (قياس) الوجود النفسى للأشياء الجامدة .. هناك شىء يدعى (السجلات الأكاشية Akashic records) .. وهى موضوع كبير معقد لن نخوض فيه ، لكننا نفترض أساسًا أن حجرًا من العصر الروماتى قد رأى وعرف كل شىء عن الرومان .. وكان رهان الفلاسفة دومًا على أن خبرات هذا الحجر يمكن أن يتلقاها الجهاز العصبى للإنسان ويفسرها .. »

- « بعبارة أخرى .. لا شىء يختفى أو يضيع .. إنما يترك بصمة لا تمحى على الأثير إلى الأبد ... »

- « هذه النظرية أيضًا تفترض أن لكل شىء حياة روحانية خاصة به .. من ثم تنتقل مشاعر الشخص إلى الشىء الذى يمتلكه .. وهذا الشىء يمكن أن ينقل هذه المشاعر إلى شخص ثان يلامس الشىء .. »

- « هكذا يعمل الجسم المادى كجهاز إرسال واستقبال
معاً .. »

- « لقد رأيت تجربة غريبة حدثت أمامى .. إذ أحضر
أحدهم قطعة من القماش الذى كفنت فيه مومياء
مصرية قديمة ، وقدمها للوسيط الذى وضعها على
جبهته .. فجأة راح يصف مدينة فرعونية ورجلاً فى
زورق يبحر فى النيل .. لاحظ هنا أن الوسيط لم يكن
يملك أية فكرة عن مصدر قطعة القماش ... »

- « قال (بوكاتان) إن النساء يملكن القابلية أكثر
لامتلاك خاصية الـ (سايكومتري) واعتبرها موهبة
خاصة .. بينما اعتبرها من يدعى (كراوتار) شيئاً
يمكن لكل إنسان أن يمتلكه إذا امتلك الرغبة
والإرادة .. »

سألته وأنا أشعر بأن الأمر كله رخو لين يسيل من
بين أصابعى :

- « وما هذا الشيء الذى يشعه المرء فيصل للجماد ؟ »

- « يسمونها الـ aura (*) ويعتقدون أنها تشع من كل عقل في كل اتجاه .. وبما أنه لا يوجد جسم صلب تمامًا (أنت تعرف أن هناك مسافة بين ذرة وأخرى) فإن هذه الفجوات تنتشر الـ aura من الأشخاص الذين حولها .. »

قلت له في غيظ :

- « هذا الكلام لا يمكن إثباته .. إنه نوع من الشعر فهل تعتبره حقائق علمية ؟ »

قال في برود :

- « أنا أحكى لك آراء يا بنى ولا أقول شيئاً عن رأيي الخاص .. ورأيي الخاص لو أردته هو أن هذه التجارب قابلة للقياس والتكرار لكنها غير قابلة للتفسير .. وهذا يتناقض مع تعريفات التجربة العلمية الصحيحة التي يجب أن تكون قابلة للتكرار والقياس والتفسير معاً .. »

(*) الترجمة الحرفية لها هي (الشذى) أو (العبير) لكن هذا لا يعبر عن معناها جيداً ..

- « لقد أطلق (كراوتار) على السايكومتري اسم
(عين الروح) .. وقال إن مركز هذه العين هو
الجسم الصنوبري في المخ الذي كان يؤدي عمله
ببراعة قبل أن تجعله الحضارة يضرر .. ولهذا يطلق
بعض العلماء عليه اسم (العين الثالثة) .. »

- « بقي أن تعرف أن هناك وسطاء يعرفهم رجال
الشرطة بالاسم ، ويثقون بكلامهم .. وقد استطاع
كثيرون منهم معرفة القاتل من منديله أو مديته ..
كما وجد كثيرون منهم قبوراً لأشخاص اختفوا دون
أثر .. »

هنا قررت أن أسأله سؤالاً كان يخرجني بعض
الشيء :

- « وكيف أنت في الإدراك الخارق للحواس
يا سيدي ؟ »

ضحك حين وصلته الترجمة وقال :

- « أستاذ النقد الألبى في جامعة موسكو لا يستطيع

كتابة بيتين من الشعر .. ومدرّب فريق البرازيل قد
لا يستطيع تسديد ضربة جزاء سهلة .. أنا أدرس ظاهرة
لا أستطيع التعامل معها .. باختصار أنا لا أملك أية قدرة
على الـ PSI »

قلت في خبث :

- « إذن أنت تملك قدرًا هائلًا من التحضر ! »

وساد الصمت

ثم بدأت فئران التجارب تدخل ..

بعد دقائق احتشدنا في مقاعدنا حول الرجل .. صار
هذا المشهد مألوفاً أن ترى الرجل جالساً إلى المكتب ،
بينما المترجمة تقف وراءه مستندة إلى الجدار ولفافة
التبغ بين شفتيها .. كانت لها عادة أخرى أنها لا تتفص
للرماد ، مما يجعلها تبدو كأن قلماً من الرماد في فمها ..
وهي تترجم دون أن تنظر له بل تنظر لنا بحدة ..
قال لنا :

- « اليوم يمكنني القول إن التجربة انتهت .. وهي

ليست بالضبط تجربة بقدر ما هي درس في استخدام
حواسنا .. لهذا أتمنى أن تكتبوا لي وأن تذكروا ما تعلمتموه
جيداً .. لاحظوا أن هناك احتمالاً لا بأس به أن استدعى
أحدكم لاستكمال الدراسة .. هناك ثغرات دائماً .. »

تأفف أحد الأطباء بصوت عال ، وقال :

- « لم لا تنهى كل شيء الآن وننتهى ؟ ليس من
السهل أن نقطع حياتنا كلما أردت أنت .. »

قال البروفسور حين وصلته الترجمة :

- « أنت بالذات اطمئن .. لن أطلبك أبداً .. ليس
لديك ما تمنحنيهِ ! »

ضحك البعض في عصبية .. ثم قال له أحد الجالسين :

- « لم نعرف بدقة من يتمتع منا بالموهبة ومن
لا يتمتع بها .. »

ابتسم الروسي وقال بطريقته الممتدة :

- « إن صاحب الموهبة يعرف ذلك الآن دون شك
وهذا يكفيني .. »

ثم أشار إلى (برنات) وقال :

- « هذه هي الأولى على الصف .. هذا يكفي في

الوقت الحالي .. »

احمر وجهها خفراً وغمغت بشيء لا بد أنه يعنى :

ليس إلى هذا الحد .. أو ليس كما تظنون ..

قلت لنفسى إنه لا بأس .. على كل حال أنا وهى

شخص واحد قاتونا وشرعاً .. يكفي أن يتمتع أحدها

بحواس خارقة للحس بينما الآخر غيبى كالسلحفاة ..

المشكلة الوحيدة هنا هي أن على أن أحتاط لأفكرى من

الآن فصاعداً ! صحيح أنتى لا أفكر فى شيء يضايقها

لكن من أدرأتى ؟ عندها تكفى لمسة واحدة ليدى كى

تعرف كل شيء .. من يدري ؟ ربما كان على كذلك

لن أمسح الـ aura من على أقلامى ومفاتيحى وعويناتى .

ترى هل يكفي لإزالة الـ aura أن أنقع حاجياتى فى

بعض الخل ؟!

6- في (سافاري) ..

كانت عودة مبهجة ..

الحقيقة أن هذا هو الحل السحري للملل من حياتك ..
اتركها - حياتك - كما هي وابتعد بعض الوقت ، فإن
كانت خبرتك مبهجة نسيت همومك ، وإن كانت كئيبة
أدركت كم كانت حياتك رائعة .. وفي الحالين تعود
منتعشا كهرة تصحو من نومها ..

في البداية كانت التحيات ، ثم قيل لى إن (سينوريه)
ينتظرنا بفارغ الصبر فى مكتبه ..

دخلنا وتبائلت المزاح الثقيل مع السكرتيرات ، وجرعت
جرعة عملاقة من كوب القهوة الذى أمام (جين) ،
وهررت ما فعلت بأن القهوة مفيدة لمرض الإيدز الذى
أصبت به ، ثم ألقيت بنفسى فى المقعد أمام المدير ، الذى
راح يسألنا عن كل شىء .. كان بطبعه نهما للمعرفة ،
وقد راقى له هذه التجربة لأنه من المؤتمنين بوجود
مستوى آخر من الطب لم يدون فى الكتب ..

قال لى :

- « أعرف عن بعض تجارب السايكومتري ، كما
أننى قرأت اسم (سيماكوف) فى أكثر من ورقة
علمية .. لكنه لم يتكلم فيها إلا عن الطب النفسى .. الطب
النفسى المحترم .. ولو تكلم عن هذا الكلام المائع فى
ورقة علمية لما نال إلا السخرية .. »

كنت أصدقه .. فهو مرجع طبى يمشى على قدمين ..
إنه مثل (آرثر شيلبى) و (جيدىون) وإن لم يكن
استعراضياً هستيرياً كالأول ، ولا يهودياً غريب
الأطوار يكره نفسه والجميع مثل الثانى ..

قلت له :

- « أمام العلم الكثير حتى يجد فائدة ما لهذه الأمور .. »

ابتسم فى غموض وقال :

- « ليس كما تتصور .. لو أن لدينا طبيباً بارعاً
فى هذه الأمور لأمكننا أن نجرب .. »

ضاحكاً أشرت إلى (برنات) :

- « لم تنتظر وعندك وسيطة ممتازة هنا ؟ »

قالت (برنات) في خفر :

- « ليس إلى هذا الحد .. »

- « بل إلى هذا الحد .. إن الدكتور (عبد العظيم)

قد برهنت عن إدراك فائق للحس لاشك فيه .. »

- « إلى هذا الحد ؟ »

قالها وهو ينظر لها في تركيز شارد الذهن ، وأدركت

أنه يفكر في استغلال هذه الموهبة بشكل ما ..

في النهاية قال لنا :

- « أريد أن نلتقى في عنبر الأمراض الباطنة

غداً .. ثمة أشياء أريد أن أعرفها بدقة .. »

(ماجدة بودو) .. في الأربعين من عمرها .. أم لثلاثة

أطفال وكانت يوماً تتمتع بصحة جيدة ، ثم بدأت الحمى

مجهولة المصدر .. فى كل ليلة ترتفع حرارتها حتى التسعة والثلاثين درجة مئوية .. لا توجد أعراض أخرى .. صورة الدم عادية .. التحليلات المعروفة بحثًا عن الملاريا والكالا آزار والتيفويد والدرن ... إلخ .. كلها سلبية .. حالتها تزداد سوءًا .. وكل حمى تسبب هزالًا واضحًا فى المعلوم إذا طالت ..

تتلقى المريضة الآن علاجًا امبريقيًا غريبًا يصلح لأن يكتبه لها فنان سريالى مثل (سلفاتور دالى) أو مجنون فى مصحة يضع كسرولة مقلوبة على رأسه .. إنها تتلقى علاجًا للخراج الكبدى الأميبى والملاريا والتيفويد والدرن .. إلخ ...

طبعًا هى لا تتحسن .. لا يمكن أن يشفى شخص يتلقى هذا الخليط الجهنمى ..

سياسة المستشفى الحالية هى وقف جميع أنواع العلاج والسماح للمريضة بالعودة لدارها .. أحيانًا تشفى هذه الحميات تلقائيًا ..

الخلاصة هي أن هذه الحالة كانت مسماراً في
نعش الإمبراطورية .. معذرة .. أعني نعش ثقنتنا
بمعلوماتنا الطبية ..

وأمامها وقفنا نصغى لكلمات (سينوريه) بينما
كان هناك طبيبان مقيمان يراقبان ما يحدث ..
قال (سينوريه) :

- « الأمر الآن في يدك .. لا أطلب تشخيصاً لكن
أطلب توجيهاً .. ستخبريننا عن اتجاه النور في نهاية
النفق .. هل هو من الشرق أم الغرب أم الشمال ؟ »
قالت (برنات) بوجه محمر :

- « سيدى .. أنت تبالغ .. لا أملك هذه القدرة ولا أثق
بأن أحداً يملكها .. »

- « لهذا لن نعالجها بناء على تكهناتك .. لكننا
سنضعها في الحسبان .. »

في تردد تتقدم (برنات) .. تجلس أمام المرأة ..

تنظر في عينيها الواسعتين البيضاءويتين وسط وجهها
الأسود .. للمرأة شفتان غليظتان تنفرجان عن تأوه
صامت ..

تهمس (برنات) :

- « ليكن .. الآن أرجوكم الصمت .. »

ثم تغمض عينيها وتمسك بيد المرأة ..

★ ★ ★

- « علينا أن نتذكر أن الرؤى التي رأيناها قد لا تكون
بهذا الوضوح .. قد لانفهمها الآن .. قد لانفهمها
للأبد .. لكنها العلامة الأولى على أن حواسنا تنفض
عنها الصدا .. سنواصل العمل ولن نينس .. »

★ ★ ★

يسود الصمت وتبادل النظرات .. عرفت أكثر من
نصاب كان يمارس هذه الأفعال والحركات من قبل ..
في مصر زارنا طبيب قلبييني يجرى استئصال المرارة
وحصوات الكلى من دون جراحة .. فقط يمرر يده

على بطنك ثم يريك المرارة الملوثة بالدم في كفه ..
وبعد ما قبض أتعابه الخرافية وسافر ، علوت الأعراض
مرضاه فأجروا الفحوص اللازمة .. ماذا تتوقع ؟
بالطبع كانت المرارة موجودة في كل مريض كما هي ..

لا أستطيع أن أثق بهذا الضرب من العلاج ولا أؤمن
به .. لكن القوى النفسية موجودة وحقيقية .. وبالفعل
يمكن لمحاولات كهذه التي يمارسها (سيماكوف) أن
تقبض على القتل .. فهل يمكن أن تقبض على المرض ؟

مرت دقائق ثم فتحت (برنات) عينيها .. وتخلت
يدها عن يد المرأة ..

همست كأنما تصحو من نعاس طويل :

- « رأيت .. رأيت ظهرها واضحا لمسى .. رأيت فقرته
فقرة فقرة ثم توارى كل هذا .. غاب في ضباب .. »

قال أحد الطبيبين المقيمين وكان بريطانياً :

- « هذا مشير .. أى جزء من الفقرات ؟ »

نظرت له برنات لتتأكد من أنه لايتهمك ، ثم قالت :

- « فقرات الصدر .. »

قال (سينوريه) وهو يعقد ذراعيه على صدره :

« هل أجريتم مسحاً للهيكـل العظمى ؟ لا ؟ لماذا لا ترتبون لواحد ؟ »

قال أحد الطبيبين وهو ينظر للآخر فى نظرة شك :

« سنفعل يا سيدى .. »

أما (جون جارلونج) فهو شاب فى الثلاثين من عمره .. لاشيء يميزه سوى اكتئاب حاد عنيف مصحوب بنوبات جنون .. نعم .. جنون لأنه هشم عظام زوجته وأتف ابنه فى ثورة غضب غير مفهومة .. لا يمكن أن يكون الطقس الحار هو السبب ..

قال الأطباء النفسيون إنهم لا يعرفون سبباً لهذه الحالة ، ويخيل إليهم أنه يعانى مرضاً عضوياً ما أدى لهذه النتيجة .. ما هو المرض العضوى ؟ لأحد يعرف .. إن أكثر الفحوص سليمة تماماً .. وفيما عدا انخفاضاً ملحوظاً فى ضغط الدم فإن كل شيء على ما يرام ..

وتجلس (برنات) فى تردد على طرف الفراش ،
وتنظر فى عيني الرجل الخائفتين .. إنه واهن القوى
لكنى ظلمت قلقاً من أن تنتابه نوبة هياج مفاجئة
فيهشم أنفها بدورها ..

أمسكت بيده وهمست طالبة الصمت فصمتنا ..
وراحت تتلقى الـ aura من مسام جلده ...

همست فى أذن (سينوريه) :

- « لو رآنا رئيس مجلس إدارة (سافارى) لرقص
طرباً !! »

ابتسم بدوره وغمغم :

- « بالتأكيد .. سيعتقد أننى حولت الوحدة إلى خيمة
حواة .. لكن لاحظ أننا لن نتخذ قرارات بناء على
كلامها .. لو أفادتنا لكان هذا خيراً وعلينا أن نثبت
كلامها بالطريقة العلمية الصحيحة .. »

فى النهاية رفعت رأسها وقالت بصوت مبحوح قليلاً :

- « هذا صعب .. لا أرى شيئاً .. »

ثم فجأة أغمضت عينيها من جديد :

- « لحظة .. نعم .. أرى كليته .. أرى كتلة سوداء
شريرة فوقها ... »

قلت فى غباء :

- « لا أفهم .. »

هتف (سينوريه) وهو يحك رأسه :

- « (أديسون) .. مرض (أديسون) .. إنها تتحدث عن
ضمور الغدة فوق الكلوية .. لم يخطر لنا هذا ببال .. »

ثم أشار إلى الطبيبين آمراً :

- « أريد نسبة (الكورتيزول) فى دم هذا الرجل ..
أريدها حالاً »

وبيد رفيقة أشار إلى (برنات) كى تتبعنا خارج
العبر .. سألته ونحن نتجه إلى الخارج :

- « لحظة ياسيدى .. هل يوجد مرض (أديسون)
من دون كل الأعراض والعلامات المعروفة ؟ »

- « إن ضغطه منخفض .. ثم لا تنس أنه لا يوجد شيء واضح أو شفاف في الطب .. لو أنك رأيت عشرين حالة تيفويد فلسوف ترين عشرين شكلاً مختلفاً من المرض .. وقد تصرف مرض (أديسون) بهذه الطريقة الغامضة أكثر من مرة .. ثم إن ظاهرة اسوداد اللون لا يمكن قياسها في مريض زنجي أصلاً ! »

نظرت إلى (برنات) وشعرت بأننى أشفق عليها من أن تتحول من طبيبة بارعة إلى عرافة منكوشة الشعر ، تلبس عشرات العقود حول عنقها ، وتحقق فى بلورة سحرية .. ربما يفيد بعض المرضى من هذا ، لكنى لن أفيد منه خاصة وأنه من المستحيل أن تمارس هذا النشاط العجيب من دون أن تتغير ..
حتمًا ستتغير والويل لى أنا ..

لكننى اعترفت أنها لم تتغير ، ولم يبد عليها على الإطلاق أنها عرفت تجربة كتلك التى مررنا بها ..

هكذا مرت الحياة هادئة مع تلك العزيزة الباسلة ..
تعرفون أنني لم أكن ملاكاً طيلة الوقت ، وأن
الخلاقات كانت تحدث من حين لآخر ، لكن لو نظرت
للصورة الإجمالية من بعيد - حتى تختفي البقع السوداء
الصغيرة - لأدركت أننا كنا سعديين حقاً ..

واصلت أنا حملتي الرهيبة مع مرض (كالا آزار) ،
وواصلت هي علاج الأطفال .. لكننا كنا نعرف أن
الوقت قد دنا وأنها ستعود إلى (الكامبيرون) قريباً ..
وقد رسمت (برنات) مجموعة من المربعات عددها
تسعون على لوح من الورق ، وكلما مضى يوم كانت
تسود مربعاً .. ورحنا ننتظر في لهفة يوم تسود
المربعات كلها .. إنها طريقة (روبنسون كروزيه)
معدلة قليلاً .. فهذا الأخير كان يرقب تراكم الأيام في
جزع ، أما نحن فنرقب تناقصها في لهفة ..

ويوم عرف (سينوريه) بهذا النشاط اليومي
الصغير ، قال لي ضاحكاً :

- « لم أدرك أنك تكرهنا إلى هذا الحد ..

- « ليس إلى هذا الحد .. »

- « لكن دعني أخبرك بشيء مهم ، لا تقص حياتك بانتظار أن تنتهي الفترة كذا والفترة كذا .. أن تنتهي فترة الدراسة .. أن تنتهي فترة التجنيد الإجباري .. أن تنتهي فترة انتدابك في (كينيا) .. إلخ .. لسوف تجد أن حياتك صارت مجموعة من الفترات يجب أن تنتهي .. وهوب ! تكتشف أنك بلغت نهاية العمر ولما تنعم بحياتك يوماً واحداً .. »

لم يرق لي كلامه .. لم يرق لي لأنه أدق من اللازم .. لذا سألته :

- « وماذا تريد مني أن أفعل ؟ »

- « يجب أن تستمتع بكل فترة كأنها هي الصورة الوحيدة النهائية لحياتك .. »

إنه كما عرفت دائماً خليط عجيب من شاعر وفنان وطبيب .. لكنني فعلاً - وهذا يثير ذعري - فقدت القدرة على الاستمتاع بالحياة .. أجمل لحظة في اليوم

بالنسبة لى هى نهايته .. يبدو أنه كان لدى جهاز
استقبال خلقه الله لى .. جهاز استقبال لمتع الحياة ،
وهذا الجهاز قد فسد أو انتزع منى ...

رباه ! هذه خواطر لن أخبر بها (برنات) أبداً
لأنها لا تخلو من إهانة لها باعتبارى غير قادر على
الاستمتاع بشيء حتى وهى معى ..

مالم تكن طبعا تملك الأفكار ذاتها !

ومالم تكن طبعا قد خمنت ما أفكر فيه بهذا القياس
النفسى !



7 - من فعلها ؟

لا بد أن (دانييل كينيياتا) لم يتألم كثيرا ..

هذا يريحنا على الأقل إلى حد ما ..

تخيل أن تتلقى ضربة قوية على رأسك بآلة كاتبة ثقيلة من الطراز القديم !! لا وقت للألم لأن مركز الألم نفسه تهشم على الأرجح .. هذا الانتقال الفوري إلى العالم الآخر قد لا يكون أليما ..

ثم إن قدميه فقدتا القدرة على التماسك فهوى على الأرض .. ثم لفظ أنفاسه الأخيرة ..

يمكننا الآن - لو أغمضنا عيوننا - أن نرى المشهد كالتالى :

حارس الأمن الأسود بقميصه الأزرق الملوث بالعرق يمشى فى الممر الطويل .. يمر أمام مكتب المدير الذى يفترض أن يكون مغلقا الآن فى الساعة

الثالثة صباحًا .. لكنه الآن موارب .. ليس مفتوحًا
لكنه موارب ..

يمد يده المتوترة إلى الباب ، ويفتحه أكثر فيرى
ضوء الكشاف يتنقل بين قطع الأثاث في غرفة
المكرتيرات الواسعة ..

هنا يقرر أن هناك شيئًا ليس على ما يرام .. إن
رجال الأمن أذكاء دومًا ..

وهكذا يفتح الحجر صارخًا :

« من هناك ؟ »

لا بد أنه قالها بالسواحلية لأنه لا يتكلم الفرنسية ..
لكن الصوت والنبرة يؤديان الغرض على كل حال ..
بالطبع لم يكن مسلحًا .. كان يحمل هراوة وسلطته
فقط .. ليس كرجال الأمن في (سافاري - 4) الذين
تعلموا أن المسدس والسروال شيء واحد ..

هنا حدث الشيء المتوقع .. انطفأ الكشاف ..

وإذ راح يبحث عن مفتاح الإضاءة الكهربى فى
الظلام بالطبع لم يجده .. لأحد يجد المفتاح وهو
متوتر بهذا الشكل الخطير ..

لكن شيئاً فاته ، هو أنه كان يقف أمام الباب
الموارب .. أى أن هيئته كانت واضحة على شكل
(سلويت) فى الضوء القادم من الخارج ..

ولابد أنه لم يجد الوقت الكافى ليفهم ، لأن المتسلل
حمل الآلة الكاتبة الثقيلة .. الآلة الموضوعة على
مكتب (جين) ، والتى لم تستعملها منذ مائة عام ..
لابد أنه رفعها بكلتا يديه ..

لابد أنه هوى بها على رأس رجل الأمن .. وعلى
الفور اختفى اسم (دانييل كينيوتا) من أسماء مواطنى
(كينيا) ليدخل قوائم الوفيات ..

هذا هو كل شيء .. ولابد أن المتسلل غادر
المكان ملهوقاً قبل أن يراه أحد آخر ..

★ ★ ★



لابد انه رفعها بكلتا يديه .. لا بد انه هوى بها على رأس رجل
الأمّن ..

حين غادرنا غرفتنا في الصباح كانت هناك حركة
غير عادية في الوحدة ..

قالت (برنات) في عدم فهم :

- « ماذا يحدث هنا ؟ »

قلت بلا مبالاة وأنا أغلق الباب :

- « حدث شيء ما .. هذا مؤكد .. ونحن لانعرفه .. »

- « أنت عبقرى اليوم .. »

ولما لم يكن لنا شأن بالموضوع فقد اتصرفت هي
إلى قسم الأطفال ، بينما اتجهت أنا إلى مكتب المدير
لأعرف ما إذا كان على أن أمارس عملية البحث
الميداني اليوم .. وكنت أكره هذا بشدة ، وأفضل
لو تركني وشأني لأذهب إلى قسم الجراحة ..

لكني كنت بالفعل أدخل إلى قلب الزحام نفسه ..

رجال شرطة عديدون وأطباء وضوضاء وزحام ..
ثم في النهاية رأيت المبرر الوحيد لهذا كله .. المحفة

التي تتحرك بما عليها من جسد مغطى بملاءة .. هذا
واحد يغادر غرفة المدير (بالقدمين أولاً) كما يقولون
في التعبير الشائع كناية عن الموت ..

سقط قلبي في قنمى وهرعت لأقف جوار طبيب فرنسي
يراقب المشهد وهو يلوك اللادن :

- « ماذا يحدث ؟ »

- « هناك قتيل .. »

- « من ومتى وكيف ؟ »

- « رجل الأمن (دانييل) .. حدث هذا ليلاً .. أما
عن (كيف) هذه فما مبرر كل رجال الشرطة هؤلاء
إن ؟ »

ووسط الزحام بدا لي وجه (سينوريه) الممتقع
وهو يتبادل الكلام مع رجل شرطة كيني .. لقد تحقق
أسوأ كوابيسه ..

اقتربت منه أكثر واستطعت أن أسمع طرفاً من

الأحداث .. أما عن كيفية اكتشاف الجريمة فعامله
النظافة طبعاً .. يبدو لى أن أكثر جرائم القتل
تكتشفها عاملات النظافة ..

قال لى (سنيوريه) وهو يشق طريقه بين الزحام
من حوله :

- « جريمة قتل .. »

- « أعرف يا سيدى .. لقد قيل لى هذا عشر
مرات .. »

- « لقد فاجأ السارق .. ودفع حياته ثمناً لهذا .. »

هذا مهم .. إذن الأمر يتعلق بلص .. لص ضابط
متلبساً ووجد نفسه مرغماً على أن يخفى جريمة
السرقه بجريمة قتل .. هذا يحدث كثيراً ، والأرجح أن
اللص كان فى حالة من الانفلات العصبى التام .. كان
يريد الخروج من هذا بأى ثمن ..

هنا تذكرت :

- « هل سرق شىء يا سيدى ؟ »

- « لم يتسع الوقت .. لقد فر قبل أن يمس شيئاً .. »

- « وهل لديك هنا ما يصلح للسرقة ؟ لا أحسبه تسلسل كي يسرق مقعداً أو حاسباً آلياً .. »

كنت أعرف أنه لا توجد أموال طائلة في مكتبه ..
إن تعاملات هؤلاء القوم تتم بالشيكات وبطاقات
الائتمان .. إلخ ... بحيث لا يمكن أن تتوقع أن تجد
كيساً مليئاً بالدولارات أو تجد رواتب الوحدة كلها
لو خطر لك هذا ببال ..

ابتلع ريقه ونظر بعين زائغة إلى المحفة التي
تبتعد .. ثم قال :

- « يوجد شيء .. وهو على قدر من الأهمية ،
لكن من يعرفون بوجوده قليلون .. أعتقد أن المتسلسل
كان يعرف .. »

- « هذا يضيق دائرة البحث كما يقولون في
القصص .. »

- « ربما .. ربما ؟ »

هنا دنا منه أحد رجال الشرطة الكينيين ، وقال له
وهو يجفف عرقه :

- « سيأتى رجال من (نيروبي) للبحث .. لكننا لن
نجد بصمات على الأرجح .. »

- « هذا طبيعى .. الكل يلبس قفازات هذه الأيام ..
تباً للسينما ! »

ثم إن (سينوريه) نادى نائبه، وهو طبيب تركى
يدعى (مصطفى نصار) كان يعمل مع (ستيجوود) ..
ورأيت أنه ينتحى به جانباً ويتبادل معه حواراً هامساً
سمعت منه بعض العبارات الموحية :

- « اسمع .. لا قبل لى بهذه المشكلة .. كل هذه
التفاصيل .. يجب أن تتولى أنت الأمر .. أرملة
الحارس .. التأمين .. انقل ما يلزم ليكون مكتبى إلى
غرفة أخرى مادام البوليس قد احتل هذه بالكامل .. »

سمعت هذا كله وشعرت بالشفقة عليه .. الشاعر
الرومانسى والرسام الحالم مطالب بأن يلعب دور المدير
الحازم الخبير بالتفاصيل .. أعفد - ولا تحسبنى أمزح -

أنه كان يفضل أن يستقيل في هذه اللحظة بالذات ..
فلو ترك وشأته لأعلن للجميع أن (مصطفى) هو المدير
الجديد ، ثم اتجه إلى مسكنه لينام ..

أخيراً لم أر ما يدعو إلى الوقوف فتصرفت أسفاً ..
يبدو أنني حر اليوم لأفعل ما يروق لى .. وما
يروق لى هو شيء واحد : الجراحة ..

★ ★ ★

كنت أتناول طعام العشاء في الكافتيريا مع (برنات)
وطبيبة كندية أخرى ..

كنت قد حكيت لهما ملخصاً لما حدث في ساعات
الليل .. وقد توترت (برنات) لأقصى حد فقد كانت
تعرف (دانييل) وتستريح إليه ..

قالت لى في حيرة وقد أزعجت طبقها معلنة أن
شهيتها صارت ذكرى :

- « وما هذا الذي في مكتب المدير والذي يستأهل
المراقبة ؟ »

- « لا يوجد سوى احتمال واحد .. »

هنا نظرت في حذر إلى الطبيبة الكندية وفضلت الصمت ..

ثم حركت شفتي دون صوت بالكلمات الأولى من الرد ..

هنا ظهر شخص مألوف على باب الكافتيريا ، وكان متجهًا نحونا ..

هذا (سينوريه) .. لقد بدأ المرح .. إن قدومه إلى الكافتيريا لحدث جلل يستحق الذكر .. من المعتاد ألا ترى المدير في الكافتيريا مع الرعاع من أمثالنا .. لكن (سينوريه) على ما يبدو مصمم على أن يكون بين البروليتاريا الكادحة ..

نهضت مرحبًا به ، ودعوته إلى الجلوس معنا ، لكنه هز رأسه في عصبية غير راغب في الكلام ، وقال بصوت ثابت مخاطبًا (برنات) :

- « المريضة (ماجدا) التي رأيتها أمس .. ثمة

فقرة من ظهرها قد تحلت من جهة الشوكة تمامًا ،
وقد وجدنا بروتينات (بنس جونس) فى بولها ..
وهذا يعنى .. »

قلت فى دهشة :

- « سرطان النخاع المتعدد Multiple Myeloma ..
يا للغرابة ! هذا لم يخطر لنا ببال »

نظر إلى (برنات) فى إعجاب لم يخفه وقال لها :
- « أنت رأيت ظهرها فى خيالك .. وبالتالي فكرنا
لأول مرة فى مسح عظامها .. كان السرطان فى
بدايته فلم يعلن عن نفسه إلا بالحمى .. ولولاك
لربما كنا أعدناها إلى دارها .. »

قالت (برنات) وقد احمر وجهها كالصلصة :

- « كان الأمر سيتضح .. وما كان ليظل سرًّا ..
إن آلام الظهر سوف

- « متأخرًا جدًا .. كنا سنعرف متأخرًا جدًا .. »

قالها وجذب مقعدًا ليجلس وقد شعر بأن الكلام
يحتاج إلى جلسة بدلاً من وقفة ..

هنا سألته في تردد :

- « والفتى .. هل هو ؟ »

- « ماذا تتوقع ؟ هناك انخفاض شديد في نسبة
الكورتيزول في دمه .. لقد دمر الدرن غدته فوق
الكلوية تمامًا .. إنه مرض (أديسون) بالفعل وإن لم
يظهر منه بعد إلا بعض الأعراض النفسية الشبيهة
بالجنون .. والواقع أننا حمقى .. الجميع حمقى .. كان
لدينا ارتفاع في نسبة البوتاسيوم ونقص في الصوديوم ،
لكننا لم نهتم بما يكفي بهذه النتيجة .. »

ثم نظر إلى (برنات) من جديد وأشرق وجهه وهتف :

- « أنت كنزيا صغيرتي !! »

كان الأمر صعب الابتلاع بالنسبة لى .. لقد تحولت
(برنات) إذن إلى وسيطة نفسية موثوق بها ..
زوجتى التى أعرفها كنفسى تحولت إلى امرأة غامضة ..
ربما مخيفة كذلك ..

قلت له في غيظ لم أخفه :

- « سيدى .. إن العلم لا يعتمد على الرؤى وأساليب
الوساطة هذه .. »

ضرب المنضدة بقبضته وهتف :

- « أعرف هذا أكثر منك .. لكن هذه الأساليب
السخيفة قد أنقذت مريضين ! مريضين وأنا لست من
مدرسة الطب المتعصب الذى يفضل أن يموت المريض
بعلاج صحيح على أن يشفى بعلاج خاطئ .. لا تنس
أن (برنات) اقترحت فقط ونحن بحثنا عن الحقيقة
بالطرق العلمية المجربة .. »

ثم نظر لها في إعجاب من جديد وقال :

- « بعدما تنتهيان من العشاء أريدكما في مكتبي .. »

ودون أن يسألنى رفع علبه المياه الغازية التى
تخصنى وشرب جرعة منها ، ثم حملها معه وانصرف ..
ولم أكن أعرف أن مشاكلنا على وشك البدء ..

★ ★ ★

8- التجربة ..

ذهبنا إلى المكتب نجر أقدامنا ..

في الحقيقة لا أشعر بأية رغبة في أن نتورط أكثر
في هذا الموضوع .. لا أرغب في أن يعتبر أحد
(برنالت) مجرد وسيطة نفسية أو معالجة روحانية ..
هي طبية بارعة ولا يجب أن تكون شيئاً آخر ..

دخلنا لنجد أن مكتب السكرتيرات قد تحول إلى
فوضى ، وهذا متوقع طبعاً .. كان هناك أربعة رجال
شرطة وأشياء مقلوبة ومبعثرة ... يبدو أنهم رفعوا
البصمات كلها ، وبالتالي لم يعد مسرح الجريمة
ساخناً ..

بقعة دم ! بقعة دم أسود لونها هناك على البساط
جعلت أحشائنا تتقلص ..

غريب أمر الدم حقاً .. إنه سائل مفعم بالرموز ..

نحن نراه طيلة الوقت فى عملنا .. لكن هناك أكثر من دم .. الدم النابض فى العروق رمزاً للصحة والحياة .. والدم الملقى فى إهمال على الأرض يشى بالموت .. ثمة دم نوجده بأنفسنا فى غرفة الجراحة ولا يحرك فينا ساكناً ، ودم يوجده غيرنا ونشمئز منه كالآخرين ، خاصة حين لا يعود بوسعنا أن نعمل شيئاً ..

قال لنا المدير حين رأنا :

- « آه ! فرغتما من الطعام ؟ جميل جميل .. تعاليا .. »

كان يتكلم وهو يجر قدميه بين الأشياء التى لا تعرف كنهها والتى تغطى الأرض ، وكان من الواضح أنه لم يدخل مكتبه الداخلى بعد وإنما فضل أن يبقى حيث حدثت الجريمة ..

فى غلظة قال لنا أحد رجال الشرطة شيئاً ما .. لا توجد ترجمة سواحلية لكن نبرة الصوت وتعبيرات الوجوه لخير مترجم : امش من هنا منك لها ! أو شىء من هذا القبيل ..

صاح (سنيوريه) فى عصبية فى الشرطى :

- « كفى ! إبنى ما زلت سيد مكتبى ، ولا أسمح لهذا الاحتلال العسكرى أن يمنع أحداً من الدخول ! هل تفهم أيها القرصان القبيح ؟ »

ومن جديد كان الكلام بالفرنسية ، لكن تعبيرات وجهه ونبراتة كانت مفهومة تماماً لرجال اشربة ..

قال لنا وهو يجرنا إلى الداخل :

- « لقد جلبوه من قريته - ذلك الشرطى - وأعطوه بندقية وأمره أن يقف هنا ويقتل من يحاول الدخول .. وهو سيفعل هذا للأبد ، حتى لو رأى مجموعة من الأطفال الرضع .. هلمّا ! لا تباليا بهذا القرصان .. »

- « سيدى .. إن كنت ترى أن الوقت ليس .. »

- « إنه مناسب ! بحق السماء ليس هناك وقت أكثر

مناسبة ! »

ثم جلس إلى أريكة هناك ، وجلست و(برنات) إلى أريكة أخرى .. قال لنا وقد لاحظ توترنا العام من الجو :

- « هذا طبيعى .. المرء لا يتواجد فى مسرح جريمة كل يوم .. لا شك أن هذا لا يناسب نفسيتك الشفافة يا دكتور .. »

ابتلغت ريقها وبعد قليل همست :

- « دكتور (سينوريه) .. لا أدرى إن كنت أبدو فظة بهذا الكلام أم لا .. لكن الحقيقة هى أننى لا أستسيغ بتاتا معاملتى باعتبارى وسيطة روحانية أو ساحرة .. »

ابتلع المعاملة الخشنة وقال :

- « هذه خسارة كبرى لأننا كنا راغبين فى استعمال موهبتك من جديد !! »

ونظر إلى أعلى وقال :

- « لقد طلبت الإذن من العقيد (موادبيكتا) .. »

هنا نظرنا لنرى (موادبيكتا) رجل شرطة الكينى الذى كان أول من اقتحم (سافارى) فى ليلة الانفجارات تلك .. الرجل الذى يتكلم بخطورة وينظر بخطورة

ويأكل بخطورة ويدخل الحمام بخطورة .. الرجل
الذى تسيطر عليه فكرة : هذه أمور أمنية لا تفهمونها
ولا يجب أن تحاولوا فهمها .. من أين جاء ؟ يبدو
أنه كان فى المكتب الداخلى ، وكان - طبعا - يدس
عصا المارشالية تحت إبطه وقد قوس ظهره للوراء
مصعرا خده للناس .. لا يستطيع الضابط فى قلب
إفريقيا أن يعيش دون عصا مارشالية كما يبدو ..

قلت له ضاحكا :

- « يبدو ياسيدى العقيد أنه بوسعك أن تنقل مكتبك
إلى هنا .. إتنا نراك أكثر من اللازم هذه الأيام .. »
لم يضحك .. فقط تقلص خداه المليئان بالأخاديد
وقال باشمزاز :

- « هذا طبيعة عملنا .. أعمال إرهابية فى مرة ..
وجريمة قتل فى مرة أخرى .. »

أردف (سينوريه) وهو ينظر إلى (برنات) :

- « الأمر هين .. خطرلى أنا لن نخسر شيئا لو طلبنا

منك أن تغمضى عينيك وتتحسسى كل شىء فى
مسرح الجريمة هذا .. »

قال (موادبيكتا) فى حزم وشمم :

- « نحن رجال الأمن لانتق بأية أساليب غير البحث
الجنائى .. لكننا قد نتنازل ونقبل شيئاً كهذا .. نحن لم
نضع شيئاً فى الأحراز بعد ، وإن فرغنا من رفع
البصمات .. لا يبدو أننا سنجد إلا بصمات السكرتيرات
على كل حال .. يمكنك أن تأخذى راحتك .. »

قالت (برنادت) فى توتر وهى تنظر لى :

- « لكن .. لكن .. من أين أبداً ؟ »

قال (سينوريه) على الفور :

- « هذا هين .. من الآلة الكاتبة طبعاً .. لو كان هناك
أثر من الـ Aura على شىء فلا بد أنها الآلة الكاتبة .. »

ساد صمت متوتر :

ثم نهضت (برنادت) متجهة إلى الآلة الكاتبة
العملاقة ..

كانت موضوعة هناك على مكتب (إيفيلين) القديم ..
وكانت هناك لطفة من الدم الجاف الممزوج بالشعر
على حافتها المدببة .. هذا الجماد اكتسب معنى
رمزياً هائلاً حتى غدت له حياة خاصة مريعة .. هذا
وجود ثقيل لا يمكن تجاهله ..

مدت يديها فى تردد إلى الآلة الثقيلة .. أغمضت
عينها وهتفت :

- « الآن أرجوكم الصمت .. »

ولم يكن من داع لهذا لأن الصمت كان ثقيلاً بما
يكفى ..

راحت تتحسس المعدن مغمضة العينين .. أنا
أعرف ما يدور بذهنها الآن .. إنها تحاول الكلام مع
الآلة .. تحاول أن تسألها عن ذكرياتها .. تحاول
اختراق تلك المسام بين الذرات التى منها دخلت
الـ Aura منذ صنعت الآلة فى ألمانيا حتى صباح
اليوم ..

ورفعت عيني لأرى تعبيرات الآخرين ..

على وجه (سينوريه) تعبير مضحك من الأمل
المؤلم والانبهار الأبله .. على وجه (موادابكيتا)
تعبير أمنى صارم يوحى بأن الأمور كلها تحت
السيطرة .. رجال الشرطة ينظرون فى بلاهة إلى هذا
المشهد ، وإن كان من الواضح أنهم يفهمونه .. لا بد
أنهم يبحثون عن مرتكبى الجرائم بطرق مماثلة فى
قراهم .. « المرأة البيضاء ساحرة » .. هذا هو
ما يقولونه فى أذهانهم الآن .. لماذا لا نطلب رأى
واحد منهم ، ما دام القياس النفسى يتناسب عكسياً مع
درجة التحضر ؟

(برنات) نفسها بدت لى فى قمة سحرها وهى
تنحنى مغمضة العينين على الآلة الكاتبة وقد تقلص
وجهها من فرط التركيز وانسابت خصلات شعرها
الأشقر تغطى ملامحها .. فخطر لى أننى لو كنت
رساماً تأثيرياً من وزن (مونييه) أو (رينوار)
لأخرجت ألوان الباستيل فى هذه اللحظة بالذات
لأقتنص تعبير الوجه والإضاءة وكل شىء .

ترى هل انتهت من المهمة ؟

هنا رفعت رأسها ببطء ، وقالت بصوت واهن :

- « هل من مكان آخر ؟ »

نظر (سينوريه) إلى العقيد ثم لى وقال :

- « ليكن .. أعتقد أن مقبض الباب .. »

دون أن يكمل عبارته اتجهت إلى المقبض وأمسكته
بيدها اليسرى ..

★ ★ ★

- « اقترح أن تضعوا الشيء فى اليد اليسرى ، لأن
الطاقة تدخل الجسم من الناحية اليسرى وتغادره من
الناحية اليمنى .. »

★ ★ ★

- « علينا أن نتذكر أن الرؤى التى رأيناها قد لا تكون
بهذا الوضوح .. قد لانفهمها الآن .. قد لانفهمها
للأبد .. لكنها العلامة الأولى على أن حواسنا تنفض
عنها الصدا .. سنواصل العمل ولن نئس .. »

★ ★ ★

وقفت (برنات) صامتة بينما نحن ننظر لها
منتظرين ..

- « وبعد ؟ »

لم ترد .. بدا أنها تركّز تفكيرها بشدة ..

- « (برنات) .. وبعد ؟ »

هنا رفعت رأسها كأنما أفاقته من حلم ، وقالت :

- « في الحقيقة أعتقد أنني فشلت ، لا أرى شيئاً .. »

عدت أسألها :

- « ولا حتى شكلاً ضبابياً غير مميز ؟ »

قالت في هدوء وهي تنظر إلى يديها :

- « ربما كان شخصاً ملثماً .. لست واثقة .. كان

هناك شخص ملثم على الأرجح .. »

بخيبة أمل مغلفة باللفظ ، قال (سينوريه) :

- « ليكن .. لنقل إذن إن اللص كان ملثماً .. »

- « يبدو هذا . »

قال (مودابكيثا) فى غلظة :

- « هذا لا يجعلنا نتقدم لحظة .. قلت لك يا بروفيسور
إنه لا داعى لإضاعة الوقت .. »

- « لم نخسر شيئاً على كل حال .. »

وابتسم لنا (سينوريه) وقال وهو يعاود
الجلوس :

- « يمكنكما العودة .. شكرًا .. »

هزئت رأسى وغادرت الغرفة مع (برنادت) ..

كان الليل قد دنا ، وأدركت أننا سننام على الفور
دون كلمة أخرى .. لقد كان يومنا مرهقاً ..

★ ★ ★

9 - ثيروبى من جديد ..

فى الصباح كان أول ما وجدته هو خطاب من
(بوريس سيماكوف) ..

من الواضح أن هناك من كتبه له لأنه بإتجليزية
ممتازة حقاً .. وقد فتحته ملهوفاً ، وكانت (برنادت)
وقتها تعد بعض الشاى لى فى البراد الكهربى الذى
ابتغاه من كينيا .. لانتس أن هؤلاء الغربيين لا يشربون
الشاى كما نشربه نحن ، بينما القهوة عندهم تشبه
الماء .. فى كل لحظة وكل وقت .. وهى قهوة لا تمت
لقهوتنا هى الأخرى .. بل هى أقرب إلى حساء
الأحذية .. وقد احتاج الأمر إلى فترة حتى علمتها
طريقة الشاى المصرى القوى زكى الرائحة ..

قلت لها فى لهجة انتصار :

- « هل تصورين ؟ خطاب من الروسى المخبول ! »

ثم فضضت الخطاب ورحلت اقرأ بصوت عال :

- « عزيزى علاء .. عزيزتى برنادت ..

- « كيف حالكم يا شباب هناك ؟ قلت لكما إننى احتفظ بالحق كاملاً فى أن أطلب أى واحد لاستكمال نتائج البحث .. ولما كنت قد شعرت بأن (نيروبي) راقت لكما ، فإبنى لن أشعر بكثير من تأنيب الضمير لو طلبت منكما أن تعودا إلى معملنى بالجامعة .. أعرف أننى تلقيت الكثير من اللغات فى الآونة الأخيرة ، لكنى مطمئن على الأقل إلى انكما لستم من لاعنى ..

- « سأكون بانتظاركما فى أى وقت ابتداء من الاثنين .. أى بداية الأسبوع القادم ..

« بإخلاص : ب . سيماكوف »

كانت لهجة الخطاب بعيدة عن الصيغة الرسمية التى توقعها ، وقد قلت هذا لـ (برنادت) مضيفاً إن الروسى العجوز يعرف كيف يمزح على ما يبدو ..

- « فى البداية شعرت بأنى أمقته .. ثم بدأت
أستريح له .. »

لم ترد فعدت أقول :

- « هذه جاءت فى وقتها .. أراهن على أننا سنعصى
الوقت فى رحلات مسلية ، إلى أن يأتى وقت العودة
إلى دارنا .. هذا يروق لى .. »

من جديد لم ترد .. فقلت :

- « هل تشربين بعض الشاى معى ؟ »

- « لا .. »

- « إذن قهوة ؟ »

- « قلت لك لا .. »

شعرت بخجل من تبرمها .. فى الواقع هى ثقيلة الظل
اليوم .. إن متحناها النفسى فى الحضيض كما هو
واضح .. الدورة النفسية والجسدية والعاطفية لها لحظات
تصل فيها الذروة ولحظات تصل فيها إلى الحضيض ..

قلت لها :

- « لماذا لا تردين ؟ »

- « لقد رددت .. قلت لك لا . »

- « (لا) فقط ؟ هذا ما يسمونه الكلام بالقطارة ..

أنت تعطين الردود على قدر الأسئلة بالضبط .. لا تضيقين
تعليقاً ذكياً ولا مرحاً ولا أى شيء .. »

صاحت فى عصبية وهى تضع كوب الشاي أمامى :

- « لكنى أرد .. لا تتوقع أن أقف على يدي وأؤدي حركة

(أكروبات) تعبيراً عن انبهارى بكلامك .. »

عدت للصمت .. واحمرت أذنائى على الأرجح لأننى

شعرت بهما كقطعتين من الفحم على جانبي رأسى ..
وللحظة كرهتها لأنها جعلتنى أكره نفسى .. ثم بدأت
شرب الشاي ونسيت الأمر برمته ..

على أننى لمحت وجهها فأدركت أنه متفخ متدبرن

كالقلقاس .. وثمة بطننا ضفدعين تحت عينيها ..

أما أنفها فأشبهه بثمرة كرز كبيرة .. من قال إن هذه الفتاة جميلة ؟

- « ألم تنامى أمس ؟ »

- « نعم »

- « ولماذا ؟ »

- « من حقى ألا أنام إذا أردت .. »

تبًا لهن ! يعرفن جيدًا كيف يجعلننا نبدو كأطفال
سخفاء مزعجين .. بينما هن ! هن المشغولات بعظائم
الأمور المهمومات بمصير البشرية ذاتها .. هن
اللاتى يملكن شهوة إصلاح العالم ، ويعرفن أسرار
الرياح وما يقوله البلبل فى أغنيته الحزينة ..

هذه هى الحقيقة .. (برنات) امرأة .. وكنت قد نسيت
هذا .. امرأة تغضب بلا سبب وتثور بلا مبرر .. ولها
تقلباتها النفسية العاصفة التى لا يمكن فهمها ..
«المطر يهطل دائمًا بعد العواصف» .. هذه قالها
(سقراط) لتلاميذه حين سكبت زوجته وعاء الماء
القذر على رأسه بعد غضبة غير مفهومة ..

(برنادت) امرأة وكنت قد نسيت هذا ، حين حسبتها
قطعة من الذكاء الأنثوى الحساس الذى لا يخطئ ..
والواقع أن هذا الذكاء - على ما أعتقد - لم يوجد
إلا فى مخيلة الحمقى ..

كانت هذه تجربتى الأولى مع عاصفة كهذه ، لهذا
نهضت من دون كلمة وارتديت المعطف عازماً على
ألا أعود للغرفة إلا حين تحترق النجوم وتجف
المحيطات ..

★ ★ ★

فى الأيام التالية القليلة ازداد الأمر سوءاً ..

كانت لا تنظر لى على الإطلاق وترد بكثير من
الشح .. وهى طريقة تجيدها النساء كى يصبنا
بالجنون .. أنت لا تستطيع اتهامها بأنها لا ترد
عليك ، لكنك كذلك لا تشعر بأنها ردت ..

وكان وجهها فى كل صباح يذكر بك بضدع مصاب
بسرطان لمقاوى .. من الجلى أنها لا تنام أو تنام بعسر
بالغ .. وقد فشلت كل محاولتى لفهم ما يضيقها ..

هل هو الحمل ؟ وارتجفت لهول الفكرة .. ما زلت
أعتبر نفسي طفلاً ، فكيف أصير مسئولاً عن طفل ؟!

سألتها عن ذلك ، فقالت فى سماجة :

- « ربما .. كيف لى أن أعرف ؟ »

قلت فى غيظ :

- « ياسلام ! أنت طبيبة وقبل هذا كله امرأة .. لا توجد
هرة فى زقاق تحترم نفسها لا تعرف إن كانت حاملاً
أم لا . »

- « أنا لست هرة فى زقاق .. »

وهكذا انتهت المحادثة عند هذا الحد ..

وخطر لى أن الإسراع بالسفر إلى (نيروبي) قد
يحسن الأمور قليلاً .. لا بد من بعض التغيير ..

وفى الصباح دخلت مكتب المدير ، واتجهت إلى
السكرتيرة (جين) التى كانت منهمكة فى الكتابة على
منسقى الكلمات ، وشعرت بى فرفعت عينها تحوى
وهتفت :

- « رباہ ! أنت فى أسوأ حال ! تبدو مثل .. مثل .. »

وفكرت بحثًا عن تشبيه ، ثم قالت :

- « تبدو كضفدع مصاب بسرطان لمفاوى ! أو ربما

مثل درنات القلقاس ! »

أشعر بأنتى سمعت هذا التعبير من قبل .. ولكن

أين ؟

ومددت يدى لأشرب جرعة كبيرة من كوب قهوتها

وغمغت :

- « أنت تعرفين أن القهوة مفيدة لمرضى الجذام ..

هل المدير موجود ؟ »

ودون أن انتظر ردها افتحت المكتب ..

كان المدير منهمكًا فى محادثة هاتفية .. فانتظرت

حتى أنهاها ، وابتلعت فى صبر رأيه المبتكر فى أن

وجهى صار يشبه القلقاس .. ثم أخبرته أننا نريد

الذهاب إلى (نيروبي) بأسرع ما يمكن ..

- « هل من أخبار جديدة عن القتل ؟ »

قال فى ملل ، وهو يفرك عينيه :

- « لا أخبار .. ماذا تتوقع ؟ قاتل لم يره أحد ويرتدى قفازات ، ولم يسرق شيئاً .. ثم إن رجال الشرطة هنا ليسوا بالضبط رجال (سكوتلانديارد .. باختصار لا يوجد أى خيط .. إن هذه القضية ستحفظ على الأرجح .. »

ثم مد كفه المفتوحة لى .. غريزياً مددت يدي لأتلقى ذلك الشيء فى كفى .. كان قفازاً من الصوف مطوياً كما تطوى الجورب ..

قال وقد فهم حيرتى :

- « وجده عامل النظافة فى سلة المهملات الموجودة خارج المكتب .. واضح أن القاتل تخلص منه بمجرد الخروج كى لا يلتفت الأنظار .. هذا هو المبرر الوحيد لوجود هذا القفاز هنا حيث لا توجد أقسام طبية فى هذا الجزء .. لقد انتهت الشرطة من فحص كل شيء فلن يفيدهم أن يجدوا هذا .. »

قلت وأنا أمسك القفاز في توتر :

- « لكن .. البصمات ؟ إنها قد ؟ »

- « بصمات على قفاز من صوف ؟ إن الرجل اختاره

لهذا خصيصاً .. »

شعرت بالفعل بأن القفاز قد صار ثقيلاً في يدي
من فرط أهميته الرمزية .. لقد كان يلف يدي قاتل ..
ولا أدري لماذا دسسته في جيبي .. كأنه ذكرى لا يجب
أن تزول .. ثم غيرت الموضوع ..

- « وقائمة المشتبه فيهم ؟ الذين يعرفون بوجود
ذلك الشيء الثمين في مكتبك ؟ »

نظر لي في حيرة بعض الوقت ، وهتف :

- « أنت لا تعرف أن هناك شيئاً في مكتبي .. »

- « أنت قلت لي صبيحة الجريمة .. »

قال في توتر :

- « على كل حال لم يعد هنا .. بالمناسبة كل من

يعرفون بوجود هذا الشيء لديهم حجة غياب Alibi قوية .. »

طبعاً لم أخبره أنني أعرف - تقريباً - كنه هذا الشيء .. مشكلته أنه ينسى ، ومشكلتي أنني لا أذكر ما كنت أفعله وقت الجريمة .. ليست لدى حجة غياب وهذا قد يجلب على رأسى تعقيدات لا داعى لها .. هذا لن يعطل العدالة كثيراً ما دمت أعرف جيداً أنني لست السارق ولا القاتل ..

يقولون فى القصص البوليسية إن عدم وجود حجة غياب قد يكون أدل على البراءة .. أما القاتل الحقيقى فيحرص على أن يحتفظ معه بتذكرة سينما لحفل يعرض فى أثناء الجريمة .. يحتفظ بمحضر شرطة لمشاجرة فى أثناء الجريمة .. يوقع فى سجل زوار المتحف ساعة الجريمة .. يأتى بعشرة شهود يقسم كل منهم إن المتهم كان معه ساعة الجريمة ... باختصار أن حجج الغياب التى لا تدحض قد تدل على التهمة أكثر مما تنفيها .. بينما البرىء يتصرف ببساطة وسذاجة من لا يتوقع سوءاً ..

قلت لـ (سينوريه) من جديد :

- « الآن هل تسمح لنا بالسفر ؟ »

قال وهو شارد الذهن تمامًا :

- « كما تريدان .. »

★ ★ ★

هذه المرة لم يكن هناك الجو المرح الطلق الذي
ميز رحلتنا السابقة إلى (نيروبي) ..

لقد كانت (برنات) شخصًا آخر ..

في ليلتنا الأولى رقدت في الفراش في غرفة
الفندق ، ونمت أو تهيأت للنوم ، ولكن خواطر حياتي
راحت تنغص على من حين لآخر .. وكانت
(برنات) بالطبع تنام في الطرف الآخر من
الفراش .. عند أبعد نقطة يمكن للمرء أن ينام فيها ..
وكانها مضطرة لأن تشارك ظريباتنا فراشه لمجرد أن
النوم على الأرض أمر غريب نوعًا ..

سمعتها تنهض .. سمعت أنفاسها .. سمعتها
تحاول استنشاق المخاط الذى يوشك على أن يسيل
من طاقتى أنفها .. إنها تبكى !

هى ذى تقترب .. هى ذى تجلس جوارى .. هذا هو
الوقت المناسب .. ستهمس لى معترفة بكل شىء وهى
مطمئنة إلى أنى لا أسمع .. ستقول أشياء على غرار
سامحنى يا (علاء) .. أنا أحبك كثيرا ولكن

ولكن هذه هى ما أبحث عنه : « ولكن أنا أحب
شخصا آخر .. »

أو « ولكن أنا لا أحب الفاصوليا مثلك .. »

أو « ولكن رائحة جواربك تنغص حياتى .. »

أو « ولكن إصابتك بالسرطان التى أخفيها عنك
تجعل الحياة صعبة .. »

أو « ولكن إصابتى بالسرطان التى أخفيها عنك
تجعل الحياة صعبة .. »



هي ذى تقرب .. هي ذى تجلس جوارى .. هذا هو الوقت
المناسب !..

أو « ولكن أنا أكره خالتك جدًا .. »

المهم أن أظاهر بالنوم وأصغى جيدًا .. كنت أفضل
دوماً في خداع أمي حين أظاهر بالنوم العميق في وقت
المدرسة ، خاصة في برد الشتاء والأمطار تنهمر
بالخارج ، وكانت تدنو بوجهها من وجهي وتصغى
بخبيث لأنفاسي .. ثم تأتي اللحظة .. لا بد منها ..
لا بد من رجفة في ركن فمي أو حركة عصبية
للجفنين .. عندها تطلق صيحة النصر ، وتريح الغطاء
عني وهي تدغدغني بخشونة صائحة :

.. « لكنك متيقظ ! أنت متيقظ ! أيها الخبيث ! هلم ..

لن يفلح شيء في جعلي أتركك تنام .. »

الآن يجب أن أخدع (برنات) .. يجب ..

جلست على طرف الفراش كما قلت .. ثم
مدت يدها الباردة وأمسكت بيدي .. وكفت عن
التنفس ..

كان تأثير هذا فى الظلام غريباً ..

لماذا تفعل هذا ؟؟

★ ★ ★

- « علينا أن نتذكر أن الرؤى التى رأيناها قد لا تكون بهذا الوضوح .. قد لانفهمها الآن .. قد لانفهمها للأبد .. لكنها العلامة الأولى على أن حواسنا تنفض عنها الصدا .. سنواصل العمل ولن نبتس .. »

★ ★ ★

- « إن صاحب الموهبة يعرف ذلك الآن دون شك وهذا يكفينى .. »

ثم أشار إلى (برنات) وقال :

- « هذه هى الأولى على الصف .. هذا يكفى فى الوقت الحالى .. »

★ ★ ★

إنها تحاول أن تقرأ ما بداخلي ! تحاول أن تتشرب
الـ Aura من مسام جلدي !

ولكن لماذا ؟ لماذا ؟

هنا فقط لم أعد التحمل أكثر ..

نهضت من رقادي المزعوم صائحا :

- « والآن هل لي أن أفهم معنى هذا كله ؟ ! »

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

10 - أنت .. أنت !

كانت اللحظات التالية هي مهرجان الدموع لو كنت
تفهم ماتعنيه ..

كانت جالسة على الأرض في العتمة متربعة
الساقين ، وقد غطت وجهها وراحت تبكي ..

صحت فيها في غضب وأنا أجلس جوارها :

- « هل لي أن أفهم شيئاً ؟ يبدو لي أنتي الحمار
الوحيد في هذه المدينة .. »

أخيراً استطاعت أن تقول من بين دموعها :

- « إنه أنت .. أنت من قتل (دانييل كينيئاتا) !! »

- « لماذا يا (علاء) ؟ لماذا يا أحمر ؟ »

أمسكت بكتفها وهزرتها وقلت من بين أسناني :

- « لنكن واضحين يا عقل الدجاجة .. أنا لم أقتله ..
وأنا واثق من هذا .. فهل يمكن أن تكفى عن هذه
الدموع البلهاء وتحديثنى عن السبب .. حدثينى عن
الخرافة التى تسلت من ثقوب عقلك المريض ،
لتنسج نسيج العنكبوت هناك ، وتصنع هذا البيت
الهائل من التفاهات والسخف والغباء ! »

قالت من بين الدموع والشهقات :

- « كان كل شيء واضحاً لى من البداية .. منذ
أمسكت بالآلة الكاتبة رأيت بوضوح تام وجهك ، وقد
بدت عليه علامات الشراسة .. كانت اوضح رؤيا
رأيتها منذ عرفت القياس النفسى .. حتى حين لمست
المقبض رأيتك بجلاء كأنك فى صورة فوتوغرافية .. »
هزرتها أكثر ، فلو أنها كانت لبناً لتحولت إلى
قطعة جبن حالاً ، وقلت :

- « تشكين فى استناداً إلى هذا الهراء ؟ »

ارتجفت شفتها السفلى وهمست :

- « ليس هراء .. ليس هراء .. دعوت الله كثيرًا
أن أكون مخرفة .. لكنى أعرف جيدًا أن حاستى
لا تخيب .. لقد جربت نفسى واتضح فى كل مرة أننى
محقة .. »

ثم أضافت وقد بدأ المخاط يسيل من أنفها مما
جعل منظرها محببًا :

- « تذكر محاولتى معك عن المال .. وعن الإغراء ..
لقد قابلت أنت امتحانك الخاص وفشلت فيه .. »



- « إن المال يحل مشاكل كثيرة .. فكرى فى بيت ذى
حديقة فى أهدأ موضع من العالم .. فكرى فى بحر لا يبعد
إلا عشرين مترًا .. فكرى فى نزهة فى (سنغافورة)
او الهند او البرازيل ، فكرى فى يخت خاص وطائرة
رياضية و ... فكرى فى أى شىء غير هذا السجن
الذى نعيش فيه .. إننى بشكل ما أفهم (ستيجوود)
حتى لو كان قد بالغ بعض الشىء .. »

« أنت تعرفين من أين يأتى اللصوص والمختلسون
والقتلة ! إنهم من بيننا .. إنهم نحن ! هؤلاء
أشخاص وجدوا الفرصة كاملة فأدركوا أنهم أضعف
مما تصوروا .. أدركوا أنهم لم يكونوا قط شامخى
الأخلاق كما حسبوا .. »

★ ★ ★

« لاندخلنا فى تجربة ، ولكن نجنا من الشرير .. »

★ ★ ★

كنت الآن ارتجف أنا نفسى ..

من الحمافة أن يكلم المرء نفسه أمام النساء ..
من الحمافة أن تتفلسف وتستعمل الموضوعية معتقداً
أنك تحدث صديقك الفيلسوف .. هذه النقاط سوف
تستعمل ضدك يوماً ما ..

قلت لها وأنا أجلس مرهقاً على الأرض :

- « هل هذا دليل كاف برأيك ؟ »

- « لاتنس أنك تعرف الشيء الذى كان فى مكتب المدير .. بل وهمست لى بالحروف الأولى منه .. إنها تلك المجموعة باهظة الثمن من دبابيس الراديو فى صندوقها الرصاصى .. لقد خشى الرجل أن يتركها فى أى موضع من (سافارى) إلا فى مكتبه شخصيًا .. لاتنس أن أى لص عادى لايعرف قيمة شيء كهذا ، فلن يسرقه إلا شخص يعرف ما يفعله .. »

- « وهذا فى رأيك دليل كاف ؟ »

- « لماذا غادرت غرفتنا فى الثانية صباحًا ولم تعد إليها إلا فى الثالثة والنصف ؟ »

- « ذهبت الى قسم الطوارئ لأجلس مع (هوفمان) قليلًا .. ليست هذه المرة الأولى .. أحيانًا اشعر بأرق بينما تغطين أنت فى النوم كالدب القطبى .. »

- « من سوء الحظ أننى لم أكن دبا قطبياً وقتها ! »

- « إذن أنا ذهبت للسرقة والقتل ، ثم عدت الى غرفتنا لأنعم بنوم هادئ .. »

- « هذا ما يبدو لي .. »

هنا كنت قد فقدت القدرة على الجلوس فرقدت
على ظهري ناظرًا للسقف برغم أن الظلام كان شبه
دامس .. وقلت لها :

- « هل تجدين أن ما قلت كاف لاتهامي بالقتل ؟ »

- « غير كاف .. ولن تقبله أي محكمة .. لهذا لم
أتكلم .. لهذا طويت صدري على السر الرهيب .. لكنني في
محكمة وجداتي .. وجدتك مدانًا بالجرم المشهود .. »

ساد الصمت لبضع دقائق ..

ثم إني نهضت فجلست على الفراش في وضع
الاحتباء ، وقلت ضاغطًا على كلماتي :

- « لقد أصغيت لكل كلمة مما تقولين .. ولا تهمني
حججك لأنني أعرف من أنا جيدًا .. أنا لم أقتل الرجل
ولم أحاول السرقة .. لكنني سأحل الأمر حين نعود
إلى (سافاري) .. أولاً سأسلم نفسي للشرطة وأخبرهم
بكل هذه (الأكلة) ضدّي كي يفتشوا عن الحقيقة .. »

رفعت رأسها في دهشة وهتفت :

- « أنت أحمق .. إنهم سيطيرون طرباً بك .. فهم
بحاجة إلى أي متهم .. إن بضع صفعات ستجعلك
مستعداً للاعتراف بقتل (يوليوس قيصر) نفسه »

- « أعرف هذا .. وبما أنك واثقة مما تقولين ،
فلا توجد مشكلة .. سيلقى المذنب عقابه ..

واستلقيت على الفراش معلناً أنني راغب في التوبة
لكني واصلت الكلام : - - -

- « أما الخطوة الثانية فهي أن ننفصل .. ما دامت
هذه الأفكار قد جالت في ذهنك ، بعد كل ما عشناه معاً ،
فلم يعد مكان تلك في حياتي .. لقد انتهت قصتنا ..
ويؤسفني أنها كانت قصيرة جداً .. »

وأغمضت عيني ..

ليست (برنادت) هي الوحيدة التي تجيد فن
البكاء ليلاً .. لكن بعض قطرات الدمع على الوسادة
لن تؤذي أحداً ..

وللمرة الأولى منذ زواجى شعرت بأننى وحيد ..
وحيد جداً .. أى سخف اقنعنى أن وحدتى أنتهت وأن
لى شريك روح ؟ نعم أنا وحيد ما دمت بعيداً عن أمى
وأهلى .. وحيد حقاً فى بلد غريب وسط أشخاص
يتكلمون بلغات غريبة ويأكلون أشياء أغرب ،
وليست هذه الشقراء التى هى زوجتى باستثناء ..

« تعالى لى يا امه » .. من السخيف والمضحك أن
أقول شيئاً كهذا ، لكننى ظللت همساً أردد هذه العبارة
حتى غبت عن الوعي ..

- « ولكنكما تبدوان لى فى أسوأ حال ! »

قالتها المترجمة عن البروفسور (سيماكوف) الذى
راح ينقل عينيه بيننا فى حيرة ..

كنا جالسين على مسافة خمسة أمتار لانتبادل حرفاً
واحداً ، وقد قطب كل منا جبينه وشفتيه وكل شىء
فى وجهه .. لقد مرت علينا ساعة كاملة فى المختبر
دون أن نظهر علامة واحدة على المرح ..

قالت له فى وجوم :

- « هذا لطيف منك .. »

قال وهو يعقد كفيه :

- « الحقيقة أننى لاحظت فى المرة السابقة أنكما زوجان متحابان إلى أقصى حد .. وقد خطر لى أن أجرى بعض تجارب السايكومتري التى تستند إلى وجود عاطفة قوية بين الموضوعين .. لكن .. فى الواقع .. لا أدرى لماذا أشعر ببعض القلق بصدد صحة هذا الفرض .. »

قالت (برنادت) بوجه متصلب كالصخر :

- « لا شيء من هذا القبيل .. نحن فى أحسن حالاتنا العاطفية .. أليس كذلك يا (علاء) ؟ »

قالت بوجه أكثر تصلباً :

- « بلى .. بلى .. سنموت عشقاً لو زاد الأمر على هذا .. لنقل إننا نجيد إخفاء عواطفنا .. »

نظر لنا في شك ، كأنما يقول :

- « ليكن .. ليكن .. ربما أنا أحمق .. »

وبدأ يحاورنا حواراً طويلاً مملاً لا أذكر منه شيئاً ..

بعد قليل اعتذرت (برنات) لأمر ما ، وانصرفت على حين بقيت مع الرجل والمترجمة .. هنا بدا كأنما وجد الفرصة سانحة أخيراً فسألني بكلماته الروسية المميزة المفعمة بالراء :

- « والآن .. ماذا حدث حقيقة ؟ هل تم استبدالكما ؟ »

قلت له في ضيق :

- « هذا السايكومتري الذي اخترعته أنت .. لقد دمر حياتينا ؟ »

راح ينظر لي في اهتمام خارق للحواس ، ثم سألني :

- « كيف ؟ »

نظرت للمترجمة التى ترمقتى فى فضول .. بدا لى
من السخف أن أتكلم عن سرفى وجود مترجم ، ثم
قررت أن أعتبرها كما هى فعلاً .. آلة ترجمة
لامشاعر لها ولا خطر منها .. ولا أدري متى بدأت
أحكي القصة كاملة ..

★ ★ ★

عادت (برنات) فتوقفت عن الكلام ، لكن الرجل
قال بصوت عال :

- « تعالى يا كتنورة .. إن القصة التى يحكيها زوجك
غريبة حقاً .. »

أدركت على الفور موضوع كلامنا فقالت فى برود
وهى تتخذ مقعداً ، وتريح نقتها على ظهر مقعد آخر :

- « إنها كذلك .. »

أردف الرجل ضاحكاً :

- « ليس ما تقولين دليلاً على شيء .. أنت لم تصلى

لهذه الدرجة من الخبرة بعد .. أنت موهوبة لكن ما من رجل شرطة يمكن أن يقصدك طالباً رأيك .. تحتاجين إلى عشرة أعوام من التركيز إلى أن تصلى لهذا المستوى .. »

قالت فى حزم :

- « لكنى رأيت .. رأيت .. وهذا كاف بالنسبة لى .. »

ثم أردفت :

- « لقد شخصت حالتين مرضيتين غامضتين بمجرد إمساك يدي المريضين .. إننى بالفعل أملك الموهبة .. وحين أمسك بسلاح الجريمة فأرى وجه زوجى .. حسن .. ألا يعنى هذا شيئاً ما ؟ »

- « يعنى ألف شيء ما .. »

ثم أشار لنا كي ندنو منه .. وضع يده اليمنى على عنقى ويده اليسرى على عنقها وقرب رأسينا ، حتى إننى توقعت أن يضرب رأسينا ببعض على سبيل المزاح

كما كنا نفعل في المدرسة .. أليس اسم هذه الضربة
(روسية) والرجل روسي؟!

لكنه قال همسًا بالإنجليزية ومن دون المترجمة :

- «دعاني أقل لكما شيئًا مهمًا .. لقد قلت لكما
إنني لا أجيد فن (السايكومتري) .. ألم أقل هذا ؟ »
قلت :

- «بلى .. وقلت إن أستاذ الأدب ليس بالضرورة
شاعرًا جيدًا .. »

ابتسم وهمس :

- «حسن .. كنت أكذب ! »

11 - فى السجلات الاكاشية ..

قال (بوريس سيماكوف) بالإنجليزية حين جلسنا إليه فى صباح اليوم التالى :

- « لاحظتما أننى بدأت بإجراء بعض الفحوص على الدكتور (عبد العظيم) .. لقد قمت بأخذ عينة من دمها وبولها .. إننى راغب فى الاطمئنان إلى صفاتها الجسدى أولاً .. وهذا شئ روتينى على كل حال .. لكن هذا ليس كل شئ .. »

وفكر قليلاً ثم أضاف :

- « السؤال الأهم الآن .. هل لدينا شئ يمت لمسرح الجريمة بصفة ؟ »

تبادلت النظرات مع (برنات) ربما للمرة الأولى .. هذا سؤال سخيف .. فالمرء لا يمشى حاملاً جزءاً من مسرح الجرائم التى يقابلها .. وعلى كل حال هذه الأشياء تخص رجال الشرطة ..

هنا مدت (برنادت) يدها فى حقيبتها الصغيرة ،
وأخرجت شيئاً ..

قالت وهى تلوح بالقفاز :

- « هذا كان مستعملاً فى الجريمة .. أنا متأكدة ! »

ثم نظرت إلى وقالت بنفس الطريقة الباردة
كالثلج :

- « نسيت هذا الدليل الجديد .. كان فى جيبك ..
وجدته وأنا أعد لسفرنا إلى (نيروبي) ! »

- « هذا طبيعى .. المدير نفسه قد أعطانيه .. »

لم ترد وناولته لـ (سيماكوف) .. وضعه فى يده
اليسرى ، وراح يعتصره فى نهم بضع دقائق .. كأنما
يستنطقه أسراراً غاية فى العذوبة ، ثم سألها :

- « هل جربت السايكومتري عليه ؟ »

- « لا .. لم أختل بنفسى قط منذ وجدته .. »

بدأ يتكلم بالروسية هذه المرة ، وكانت المترجمة

تحاول بصعوبة اللحاق بكلماته السريعة .. حتى إنها
سعلت من فرط ما ابتلعتها من دخان التبغ ..

- «دعاني أحدثكما الآن عن شيء ألمحت إليه فيما
سبق ، لكنى لم أشرحه بالتفصيل .. كل وسيط يعرف
ما هي السجلات الأكاشية .. إنها - فيما يقال - نظام
ملفات كونى يسجل كل شيء وكل كلمة وكل فعل ..
ويتصرف كالعقل الباطن فى احتوائه على ذكريات
لا يمكن نسيانها .. هكذا قال (فرويد) مراراً .. العقل
الباطن يذكر كل شيء .. من مذاق أول رضعة
أخذتها ، وحتى عدد درجات السلم الذى صعدتما فيه
إلى هذا المختبر .. »

« يزعمون أن الأحداث تطبع على مادة تسمى
(أكاشا) .. ويزعمون أنه من الأكاشا ولدت العناصر
الأساسية كالنار والهواء والأرض والماء . طبقاً لهذا
كلام فلسفى لا أساس له من الصحة .. أحياناً
يسمونها (العقل الكونى) أو اللاوعى الجمعى .. »

« هناك من يعتقد أن هذه السجلات قابلة للقراءة
في مراحل من الوعي كالنوم والتأمل . ويعتقد
اليوجيون أن هذه السجلات يمكن البحث فيها في
حالات معينة من النرفانا .. »

قلت له في ضيق :

- « وما علاقة هذا بكلامنا ؟ »

- « أنا سأدخل السجلات الأكاشية لمعرفة كل شيء
عن صاحب هذا القفاز .. »

قلت له :

- « فهمت أنك لا تصدق بوجود هذه السجلات .. »

- « أصدق بوجودها يا بني .. لكنى لا أعرف لها
تفسيرًا .. هذا فارق واضح .. »

ثم مد يده إلى المحقق وناولني إياه بعد ما استوثق
من جرعة السائل به ، وقال :

- « هذا هو (بنتوثال الصوديوم) .. ليس الأمر

متعلقًا بمصل الحقيقة ، لكنى بحاجة إليه كى أصل
إلى حالة شبيهة بحالة (النرفانا) .. سيكون سُبَاتى
مزيجًا من النوم والوعى وفقدان الإرادة .. ستَحَقَّتْنى
به وريدًا ببطء .. أنت قلت لى إن عندك فكرة جيدة
عن التخدير »

ابتسمت ابتسامة مريرة بمعنى أن هذا التشكك
إهانة ..

نزع قميصه ليجلس عارى الجذع ، وبدأ يوصل
الأقطاب إلى صدره ..

توت ! توت ! توت !

قال لى وهو ينظر إلى شاشة المرقاب
(مونيتور) :

- « مادمت تعرف التخدير فأنت قادر بالطبع على
ملاحقة هذا المرقاب .. لو لاحظت اضطرابًا بطينيًا
أو تسارعًا فى ضربات عليك أن تتصرف طبقًا
لهذا .. »

نظرت إلى المنضدة التى تراصت عليها زجاجات
(الفيراباميل) و (الليدوكايين) و (البروبرانولول) ،
كأننا فى عناية مركزة .. مع قناع أكسجين صغير ،
وجهاز (أمبو) المخصص للتنفس الصناعى .. وشعرت
بأننى بحاجة إلى عناية مركزة أنا نفسى ..

رأى قلقى فابتسم وقال :

- « هذا لا يحدث عادة .. لكن تجربة دخول السجلات
الأكاشية ليست هينة أبداً .. لهذا لم أمارسها
إلا مرتين فى حياتى .. هذه هى المرة الثالثة .. »

قلت له فى عصبية :

- « اسمع .. لماذا لا تجرب مواهبك فى القياس
للنفسى ؟ »

- « إن ما سأقوم به أشد دقة بلا مجال للخطأ
الشخصى .. كأننى أركب آلة الزمن قائماً برحلة إلى
الماضى .. لقد تعلمت هذا من أحد اليوجيين »

ثم التفت إلى المترجمة التى كانت تدخن فى
عصبية ، وقال :

- «وَأَنْتَ يَا (كاتيا شلوندروفنا) .. لَا أُرِيدُ أَنْ تَفُوتَكَ
كَلِمَةً وَاحِدَةً .. طَبْعًا مِنْ الْوَاضِحِ أَنَّي سَأُكَلِّمُ بِالرُّوسِيَّةِ ..»
هَزَّتْ رَأْسَهَا أَنْ نَعَمْ ..

مِنْ ثَمَّ أَمْسَكَ بِالْقَفَازِ الصُّوفِيِّ فِي يَدِهِ الْيَسْرَى ،
وَإِغْمَضَ عَيْنَيْهِ ، وَأَخَذَ شَهيقًا عَميقًا وَاسْتَرَخَى فِي
الْمَقْعَدِ . وَقَالَ لِي :

- « اِبْدَأْ يَا بَنِي .. »

رَبَطْتُ (التَّوْرَنِيكِيَه) حَوْلَ ذِرَاعِهِ ، وَأَوَّلَجْتُ الْقَنَاقَةَ
الْوَرِيدِيَّةَ فِي وَرِيدٍ مُنَاسِبٍ ، ثُمَّ تَنَاقَلْتُ الْمَحْقَنَ ..
وَبَدَأْتُ الْحَقْنَ ببطء .. لَمْ يَكُنْ حِسَابُ الْجُرْعَةِ مُشْكِلَتِي
بَلْ مُشْكِلَتُهُ هُوَ .. لِأَنَّي لَوْ قَلَلْتُ الْجُرْعَةَ لَمَا حَدَثَ
شَيْءٌ ، وَلَوْ زِدْتُهَا لَدَخَلَ فِي نَوْمٍ عَميقٍ ..

توت ! توت ! توت !

قَالَ وَهُوَ مَغْمُضُ الْعَيْنَيْنِ :

- «الآن أرجوكم الصمت .. خفضي الإضاءة
يا (كاتيا شلوندورفنا) ..»



ثم تناولت الحقن - زادت الحقن بدماء .. أم .. كن حساب
الجرعة مشكلتي بل مشكلته ..

وبدا يهوم برأسه كأنما يحاول تبين شيء
عسير ..

وساد صمت رهيب ..

أخيراً راح صوته يتعالى متكلماً بالروسية بينما
المترجمة تحاول اللحاق به بصوت خفيض :

- « إنتى أخترق السجلات الأكاشية .. أفتح صفحات
لاوجود لها .. أنا أعبر المسافات إلى (بورو) ..
(سافارى) .. أعبر الألمان إلى هذا القفاز .. هأنذا
أرى المشهد بتفاصيله .. »

وصمت وابتلع ريقه .. فأشعلت المترجمة لفافة
تبغ .. ثم عاد يتكلم :

- « هناك صندوق يحوى مجموعة من الأجهزة
البلاستيكية التى تدخل فى جراحات القلب .. هذا
الرجل يعلم .. هذا الرجل يريد .. هذا الرجل أسود
البشرة وله جرح على خده .. إنه يدخل الغرفة
ويبحث وسط الأشياء .. هناك من يدخل .. مهلاً !

يطفى الكشاف .. يتربص ويحبس أنفاسه إن رجل
الأمّن يبحث عن الضوء .. لسوف يراه ! لسوف
يقبض عليه .. ارفع الآلة الكاتبة الآن .. ثقيلة ؟ نعم ..
هذا يعنى أنها ستكون ثقيلة على رأس الرجل ..
ارفعها .. اهو بها .. لقد سقط ! لقد تهشم رأسه .. »

توت ! توت ! توت !

وبدا إيقاع كلامه يتسارع .. ومعه إيقاع ضربات
القلب على المرقاب ..

- « اهرب ! لاجدوى الآن من مواصلة البحث ! حتى
لو ظفرت بما تريد فلا جدوى .. لن تستطيع أن تخفى
هذه الأشياء .. اهرب .. إنه موت عبثى لاجدوى
منه .. لكن بوسعك أن تنقذ نفسك على الأقل .. آه !
رجلك تؤلمك .. يبدو أن الآلة الكاتبة قد هوت على
أصابعك بعد ما هشمت رأس الرجل .. »

توت ! توت ! توت !

الإيقاع يتسارع ..

توت ! توت ! توت !

- « إن .. إن الأمور .. تسوء .. إن »

ثم كفت المترجمة عن الترجمة .. فقط راحت تتكلم
بالروسية المذعورة بدورها .

هنا صاحت (برنات) فى رعب :

- « (علاء) ! إن شفتيه ازرققا ! »

توت ! توت ! توت !

وعلى الشاشة راحت ضربات القلب تتوالى على
شكل تسارع ضربات فوق بطيئى .

انتزعت نفسى من الدوار ، وأمسكت بمحقن وملأته
بالبروبرانولول .. ثم حقنت به الرجل ببطء وأنا
أراقب المرقاب .. على حين قامت (برنات) بتثبيت
قناع الأوكسيجن ..

توتوتوتوتوتو !

يا للكارثة ! هل نفقد الرجل ! هل يغيب للأبد وسط
تلك السجلات الأكاشية ، كأمين مكتبة ضاع وسط
الأوراق المغبرة المتراكمة ؟

توت ! توت ! توت !

بدأ القلب يهدأ .. وبدأ اللون الأحمر يعود لوجه
الرجل ووجوهنا ..

فى النهاية فتح عينيه وهمس بصوت واهن بشيء
بالروسية ، فقالت المترجمة :

- « إنه يسأل إن كان أجاب عن سؤالك ؟ »

نظرت إلى (برنات) وقلت فى تعب :

- « نعم ياسيدى .. لقد أجبت على السؤال .. »

★ ★ ★

جلس (سيماكوف) فى الشرفة يشرب عصير البرتقال
ونحن نجلس حوله نرشف كلماته بدلاً من البرتقال ..
ما زال منهكاً بعد تجربة أمس لكنه راض ..
قلت له :

- « ولماذا تتكر يوماً أنك تملك قدرات الإمراك الخارق
للحواس ؟ »

- « أحب أن أدارى بعض الأوراق فى كمى .. ثم إن العلماء لن ينظروا لى النظرة ذاتها لو عرفوا .. سيتعاملون مع أبحاثى وقتها على أنها (الهراء الذى يكتبه المخرف الروسى العجوز) »
فكرت قليلاً ثم سألته :

- « إذن (برنات) كانت مخطئة .. كيف استطاعت تشخيص الحالات المرضية إذن ؟ »
تحدث إلى المترجمة فقالت لنا :

- « الدكتورة (عبد العظيم) لم تصل بعد إلى هذه الدرجة من الشفافية .. إنها جيدة لكنها كما قلت تحتاج إلى عشر سنوات كى تصل إلى مستوى تشخيص الأمراض باللمس .. إن ما حدث وقتها هو أن الطبيبة فيها هى التى تكلمت .. ومن الجلى أنها طبيبة بارعة .. حين جلست أمام المريض فكرت فى الشئ الوحيد الذى لم يفكر فيه من سبقوها وأصاب حدسها .. لنقل إن الطب يحتاج إلى نوع خاص من الحدس .. نوع من الحاسة السادسة .. وهى تملك هذه القدرة .. »

قالت (برنادت) :

- « لكن الرؤيا كانت جلية فيما يتعلق بـ (علاء) ..
جلية إلى حد لا يوصف .. »

قال في ثقة :

- « لنقل إن ظروفك لم تكن تمنحك ما هو أفضل ..
لاحظي أن د. (عبد العظيم) دخل الغرفة مراراً ولمس
الآلة الكاتبة مراراً .. ثم إنك تحملين جزءاً من الـ Aura
الخاصة به داخلك ، وهذا يجعل الأمور تختلط عليك ..
لا يمكن استقبال الـ Aura من الخارج ومن الداخل في
الوقت ذاته .. الأمر شبيه بأن أسمع صوت هاتف ،
فلا أعرف إن كان هاتف داري أم هاتف الجيران .. »
أخرجت قلماً ورحت أدون به أفكارى :

- « رجلنا أسود البشرة .. له جرح على خده ..
ويعرج قليلاً بسبب سقوط الـ »

ثم نظرت إلى (برنادت) وهتفنا في صوت واحد :

- « (مارسيل) !! »

قال البروفسور وهو يرشف بعض العصير :

- « أفترض أنكما عرفتما شخصًا مناسبًا .. »

- « نعم .. إنه موظف توريدات مهم فى المستشفى ،

ولو جاء شىء كهذا لمكتب المدير لعرف على الفور ..

بالواقع لعرف قبل أى واحد آخر .. »

- « إذن ابحثا عنه واستنطقاه .. »

كدت أنهض شاكرًا له ثم تذكرت شيئًا ، فقلت :

- « لحظة .. قلت إن (برنات) تحمل فى داخلها

جزءًا من الـ Aura الخاصة بى .. هل تقصد الحب ؟ »

- « بل أقصد الحمل ! الحمل يا بنى .. لقد أجرينا

اختبارًا للحمل ووجدناه إيجابيًا ! إن طفلك ينمو فى

أعماقها ، وهذا يجعل صورتك حاضرة عند أول

محاولة للإدراك من جانبها .. نسيت أن أخبرك أن

الحمل يعطل الكثير من قدرات الإدراك الفائق

للحواس .. ما بالك يا فتى ؟ لماذا تترنح هكذا ؟ »

★ ★ ★

12 - الخاتمة ..

لما عدنا إلى (سافارى) كانت ثقبوب كثيرة قد رتقت فى جدار زواجنا الذى أوشك على أن يتمزق ..
قالت لى (برنات) فى ذلك المساء ، وهى تفتح حقائبنا لتخرج ما بها :

- «أنا مدينة لك باعتذار آخر .. لم تكن معلوماتك دقيقة عن إبر الراديو .. ما كان فى مكتب المدير هو صمامات صناعية لجراحات القلب وهى باهظة الثمن بحق ..»

قلت لها :

- «كان المدير يتحدث عن إبر الراديو هذه منذ أسابيع ، وافترضت أنها هى الشئ الثمين الذى لم يخبر به أحدا ، لكنه أخبرنا اليوم أن هذه الصمامات وردت إلى الوحدة قبل الحادث ، واحتفظ بها فى مكتبه

لأنه خشى أن يسلمها للموظفين في المخزن .. إنه مازال قلقاً عصابياً يخاف كل أنواع المسئوليات المادية ..

- «كان (مارسيل) يعرف . وخطر له أن سرقة بعض هذه الصمامات قد تمر على خير .. إن عدد من يعرفون لا يقل عن سبعة .. ويمكنه أن يفعلها دون أن يكتشف أمره ..»

ثم فكرت قليلاً وسألتني :

- «هل اعترف ؟»

- «سيعترف .. إن العقيد سيعرف كيف يجعله يتكلم .. هذه هي أمتع فرصة سنحت له في الحياة ..»

- «ولو لم يتكلم ؟»

- «إذن لن يحدث له شيء .. لا يمكن قبول هذه الرؤى التي رآها (سيماكوف) في أية محاكمة .. لكن العقيد يعتمد على الضغط النفسي .. على الرعب الذي سيحل بالرجل حين يصفون له الجريمة كأنما

رأوها .. سينهار سريعاً .. إن كل رجل شرطة يعرف
هذا جيداً .. »

ثم نظرت لها فى حدة وقلت :

- « هذه آخر مرة تسيئين فيها الظن بى .. »

- « آسفة .. كانت كل الشواهد ضدك .. بل كانت

ضدى ! »

ثم فكرت قليلاً وأضافت :

- « لكن لماذا يفعل بعض الناس هذا كله من أجل

المال ؟ »

- « لأنه رائع .. هذا هو كل شىء .. »

ثم شردت بذهنى وأنا أحلم بصوت مسموع :

- « إن المال يحل مشاكل كثيرة .. فكرى فى بيت

ذى حديقة فى أهدأ موضع من العالم .. فكرى فى

بحر لا يبعد إلا عشرين متراً .. فكرى فى نزهة فى

(سنغافورة) أو الهند أو البرازيل .. فكرى فى يخت

خاص وطائرة رياضية و .. فكرى فى أى شىء غير
هذا السجن الذى نعيش فيه .. إتنى

ثم توقفت عن الكلام ..

كانت تنظر لى فى قلق ..

قلت بسرعة :

- « لكنه المال الحلال طبعًا .. هل تفهمين ؟ أتحدث
عن المال الحلال !!! »

فى مختبره يراجع (سيماكوف) أوراقه .. يقطب
جبينه ..

ينادى المترجمة التى هى سكرتيرته أيضًا ، ويقول
لها :

- « ليست كل إجابات ذلك الطبيب الشاب - (عبد
العظيم) - غبية كما تصورنا .. هل تذكرين ذلك
المفتاح والقلم وبعض الأشياء التى استعملناها فى

تجارينا ؟ إنها تخص صديقاً لي من موسكو هو
(ألكسيس فيتشينا) .. ما معنى (فيتشينا) في
الروسية ؟ »

نظرت له واتسعت عيناها وقد فهمت ما يرمى
إليه :

- « معناها .. معناها (لحم خنزير) !! »

وتبادلا النظرات .. كنت أتمنى أن أعرف ما حدث
بعدها ، لكن هذه الأشياء كلها خارج نطاق عملي في
(سافاري) .

تمت بحمد الله

www.dvd4arab.com

Hany3H

و علاء عبد العظيم

بورو

www.dvd4arab.com

